دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

دور الصحافة في توثيق التاريخ وصياغته
دراسة نماذج من الصحافة اليمنية

أ. م. د. أمين محمد علي الجبر
قسم التاريخ والعلوم السياسية
كلية الآداب – جامعة ذمار
الجمهورية اليمنية

مُلَخّص

تُعَدّ الوسائل الإعلامية بمختلف أنواعها، لا سيما الصحافة منها، أوعية مهمة تستوعب الكثير من مفردات المادة التاريخية لحياة أي مجتمع من المجتمعات البشرية. وذلك ليس بكونها تمثل دوما لسان حال مؤسساته، والناطقة باسم جهاته الرسمية وغير الرسمية وحسب، وإنما بوصفها تشكل غالبًا الأداة الأنجع والوسيلة المثلى للتعبير والإفصاح عن مجمل آرائه وتوجهاته، زمانًا ومكانًا، بل والسجل اليومي الذي يحتضن بين طياته العديد من الأحداث والأخبار ويختزن، المادة التاريخية المتنوعة، كما أنها المرآة التي تعكس أهم تفاعلات المجتمع وحراكه، بل الوسيلة التي تصاغ بين طيات صفحاتها مفردات الخطاب العام، وتتجلى نكهة وماهية التأريخ. فالصحافة اليمنية بمختلف أطيافها وكافة تعبيراتها، وعلى مدى تاريخها الطويل، كان لها دور كبير وفاعل في توثيق وصياغة التاريخ اليمني المعاصر، فضلاً عن تشكيله وحفظ وأرشفت الكم الهائل من مادته التاريخية الهامة والمتنوعة. فهذا البحث يتناول بمنهجية علمية إشكالية تعدد قراءات التاريخ اليمني المعاصر من خلال الصحافة، وخطابها المتعدد والمتنوع، معتمدًا منهجية علمية تاريخية تقوم على الاطلاع على نماذج من المصادر الأصلية وتحليلها (صحف رسمية، صحف حزبية، صحف أهلية)، مقتصرًا على صحيفة الإيمان بوصفها نموذج رسمي، وصحيفة صوت اليمن كنموذج حزبي، وفتاة الجزيرة كنموذج أهلي.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	٠٣	يناير	٢٠٢٣
تاريخ قبـول النشـر:	١٤	فبراير	٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

الصحافة اليمنية؛ صوت اليمن؛ صحيفة فتاة الجزيرة؛ الصحافة الأهلية؛ تاريخ اليمن المعاصر

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2023.325501

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أمين محمد علي الجبر. "دور الصحافة في توثيق التاريخ وصياغته: دراسة نماذج من الصحافة اليمنية".- دورية كان التاريخية.- السنة السادسة عشرة- العدد التاسع والخمسون؛ مارس ٢٠٢٣. ص ١٤٠ – ١٦٣.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: aljbar7@tu.edu.ye
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

قد يصبح من الضروري على الدولة/ السلطة في العصر الحديث والمعاصر، كعرف تقليدي والتزام رسمي، استخدام وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، لا سيما الصحافة منها، وذلك بقصد التعبير عن رؤاها وسياساتها ونشر خططها واستراتيجياتها فضلاً عن تكوين راي عام مساند لها وداعم لسياساتها من خلال التأثير فيه وتوجيهه. إذ تحتاج السلطة، أي سلطة، إلى وسائل اتصال جماهيري تكون بمثابة متاحات ومتنفسات للتنفيس عن مخزونها الإيديولوجي والتعبير عن مكنونها الفكري-النظري، كما أنها في ذات الوقت بحاجة إلى قنوات ووسائل تتبنى خطابها وتعكس رؤاها واتجاهاتها بل وتستوعب مفردات ذلك الخطاب[١]، وهو ما قصده وأشار إليه عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته عندما اعتبر وظيفة القلم ضرورية وتالية لوظيفة السيف في بناء القوة وتثبيت السلطة.[٢]

من هنا تُعَدّ الصحافة أنسب الوسائل وأجدى القنوات، في عملية رصد وتوثيق الأحداث التاريخية بوصفها التعبير الظاهري عن مجمل الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في المجتمع[٣]، كما أنها تمثل تجليًّا ثقافيًا – فكريًا لتفاعل مجموعة اجتماعية متجانسة إذ أن في استطاعتها تلوين الأحداث والإفصاح عن خبايا عمل مجموعة اجتماعية وتفاعلها، بحيث إنها تبدو بحرية اكبر حين تكشف النواحي القبيحة للحياة".[٤] كما نستطيع بواسطة الصحف ومضامينها الدخول إلى الواقع الحي لتفاصيل المشهد التاريخي للزمن الذي نسترجعه، ونتحرك حركة حرة ما بين الوقائع والأحداث بما يسمح لنا أن نرى أسبابها ونتائجها من أكثر من منظور أو زاوية[٥].

وتكمن أهمية البحث وأهدافه في: التعرف على أهمية الإعلام عمومًا والصحافة بشكل خاص في التوثيق والتأريخ. الوقوف عند دور الصحافة اليمنية في عملية الاحتفاظ وخزن المعلومات التاريخية الهامة، والتي تبدت لكأنها أرشيف دائم التراكم متواصل المعلومة، بل متنوع الصياغة متعدد القراءة. التعرف على كيفية صياغة التاريخ في خطاب ولغة الصحافة اليمنية المختلفة. إبراز نشاط ودور بعض نماذج الصحافة اليمنية في هذا الصدد. تسليط الضوء على أهمية الاعتماد على المادة الصحفية كونها تعبر عن جميع التوجهات ومختلف الآراء.

أولاً: تعريف الصحافة وأهميتها في التوثيق وصياغة التاريخ

إن التعريف القاموسي للصحافة قد اقتصر على المعنى اللغوي والمدلول الاصطلاحي وحسب. وكذلك الدور الوظيفي قد تحدد في طبيعة الإنجاز اللحظي الدعائي/ الإعلامي المناط بها تحقيقه والمرسوم لها سلفا، رسميًا وشعبيًا. لكن المهمة/الأهمية الاستراتيجية التي يمكن اعتبارها مؤجلة الى حين، تبعا لشروط وقياسات البحث العلمي التاريخي، تكمن فيما تحتويه وتختزنه تلك الصحف، وتصييره، بفعل التراكم الكيفي والنوعي، ذلك المعطى الاجتماعي/الثقافي الناجز حتى غدى ذلك المشترك الإنساني لمتراكمة من الخبرات والتجارب الحياتية/ الإنسانية يكون في المتناول ويخول كل ذي اختصاص قراءته بحرية.

فالصحافة في اللغة هي: الورقة من الكتاب بوجهيها، والصحيفة وجمعها صحف هي الجريدة، وهي مجموعة من الفرسان، وهي قلة من المال وهي النشرة الدورية التي تحمل الأخبار السياسية والاقتصادية المتنوعة.[٦] وهي أيضًا في الاصطلاح: بمعنى صناعة الصحف والكتابة فيها ومنها أخذت كلمة صحافي.[٧] وتعني الاتصال بكل الحقائق factul materials ، والمراكز situations، والأفكار ideas، والآراء opinions[٨] .

ومع تطور العلاقات الاجتماعية تطور بالتالي مفهوم الصحافة، كما اختلفت تعريفاتها باختلاف الأيدولوجيا التي تتبناها وهي التي ارتبطت بالفلسفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يقوم عليها المجتمع،[٩] فقد عُرفت بأنها "ظاهرة تنتمي إلى الثقافة المعاصرة وإلى نمط أيديولوجي واضح ومحدد، حيث تُعَدّ جزءًا من الصراع الذي يحتدم في المجتمع فهي بالتالي تعبر عن مصالح جماعات سياسية ليبرالية أو تقدمية. وهي كذلك منبر للآراء السياسية لهذه الطبقة أو تلك"[١٠].

وعرفت – أيضًا - بأنها " كل نشرة مطبوعة تشتمل على أخبار ومعارف عامة، وتتضمن سير الحوادث والشواهد والانتقادات التي تعبر عن مشاعر الرأي العام، وتعرض على الجمهور عن طريق البيع الإفرادي

والاشتراك السنوي"[١١]. وأيًا كانت التعاريف المتنوعة والمختلفة للصحافة إلا أنها تعطينا، بشكل أو بأخر، قراءات متعددة ومتنوعة للتاريخ وهو ما سوف نجده ماثلا في الصحافة اليمنية بكل أنواعها.

لان الصحافة متنوعة مهنيا ومتعددة وظيفيا بالتالي فإن أهميتها ودورها في توثيق وصياغة التاريخ ستكون تبعا لطبيعة الوظيفة والدور المناط بها تحقيقه. فإن كانت رسمية فإنها، بالضرورة، سوف تقدم قراءة رسمية للتاريخ كونها صدى للخطاب الرسمي المعبرة عنه، وان كانت حزبية فسوف تقدم قراءة حزبية للتاريخ، وإذا كانت أهلية فإنها سوف تقدم قراءة للتاريخ من منظورها الخاص وهلم جراء. وقد قسمت، إجمالاً، إلى صحافة ذات ميول ليبرالية، وصحافة ذات ميول سلطوية[١٢]، الأولى تعتبر الصحافة أداة للتعبير عن حرية الفرد من خلال حقه في ممارسة حرياته السياسية والمدنية[١٣]، وفي مقدمتها حقه في التعبير عن أفكاره وآرائه وهو الأمر الذي يلخصه مبدأ "حرية الصحافة[١٤]. والثانية تعتبرها نشاط اجتماعي يقوم على نشر المعلومات التي تهم الرأي العام، والمصالح المشتركة، وأنها ظاهرة ملتزمة وإنسانية عامة تخدم باستمرار أهداف عامة شمولية[١٥].

وهو ما كانت عليه الصحافة اليمنية، بكافة أشكالها وتعبيراتها، حيث تعددت وتنوعت في عملية توثيق وصياغة التاريخ، بناء على طبيعة الدور والوظيفة التي أدتها ومارستها في الواقع العملي، وتكمن أهميتها ودورها في أن الصحافة الرسمية (الموالية) قد صاغت وقدمت تاريخ رسمي يعبر عن وجهة نظر رسمية منحازة بالضرورة، والصحافة الحزبية (المعارضة) صاغت وقدمت أيضًا تاريخ حزبي من وجهة نظر معارضة، وكذلك الصحافة الأهلية (المتنوعة) قدمت تاريخ متنوع القراءة، تبعا لتوجه وطبيعة الصحيفة نفسها.

وانطلاقًا من ذلك فإننا نعتبر كل نسخ الصحافة اليمنية المحفوظة، سواء في الأرشيفات والمراكز الحكومية أو غيرها تشكل مادة علمية/ تاريخية مهمة لا غنى للباحث عنها. وإن الأسطر القادمة سوف تتناول دور وأهمية الصحافة اليمنية في توثيق وصياغة التاريخ من خلال الإجابة الموضوعية على السؤال الإشكالي: كيف أرخت وصاغت الصحافة اليمنية بكافة أنواعها وتعبيراتها تاريخ اليمن المعاصر؟ وكيف احتضنت صفحاتها العديد من المادة التاريخية الحافلة بالعديد من الأحداث والمعلومات من مختلف الآراء والتوجهات؟ وهو ما يقود من ثم الى طرح سؤال إشكالي مفاده: هل الصحافة في حد ذاتها تُعَدّ مصدرًا من مصادر التأريخ؟ وما أهميتها ودورها في التوثيق واستقاء المعلومة، بل وصياغة التاريخ نفسه؟

ثانيًا: الصحافة اليمنية الرسمية (الموالية) الإيمان أنموذجًا

شهدت اليمن طوال تاريخها المعاصر إصدار العديد من الصحف الرسمية التي عبرت عن الجانب الحكومي واحتضنت خطاب السلطة في كل مراحلها وأشكالها، كما وثقت العديد من الأحداث والأخبار الرسمية، وقدمت تاريخا رسميا يمثل وجهة نظر رسمية، بدأ من السلطة التركية في صنعاء، مرورا بسلطة الاحتلال البريطاني في عدن، وانتهاء بسلطة الإمامة في شمال الوطن، وحتى أيضًا سلطتي النظامين الرسميين في شمال وجنوب الوطن، وحكومة الوحدة (الجمهورية اليمنية).

فالإدارة العثمانية في ولاية اليمن أصدرت صحيفة رسمية أسمتها صنعاء وكان لهذه الصحيفة دور كبير في نقل وتوثيق أخبار الدولة العثمانية الرسمية في اليمن واحتفظت، بشكل أو بآخر، العديد من معلومات وأخبار ووقائع تلك المرحلة التي صدرت فيها من وجهة نظر رسمية، وكانت الإدارة العثمانية قد أصدرت قبلها صحيفة يمن من الحديدة على شكل نشرة إخبارية تسجل أخبار المعارك التي خاضتها القوات العثمانية في اليمن.

إن ما تحويه وتتضمنه صفحات صحيفة صنعاء من مادة علمية تاريخية يمكن أن تغطي معظم أحداث ووقائع تلك الفترة من زاوية رسمية، توثيقا وصياغة، وتعكس أيضًا طبيعة وتوجه الإدارة العثمانية في اليمن حينذاك. بالتالي فإنها وما تحويه صارت مصدر من مصادر التاريخ العثماني الرسمي في اليمن آنذاك، حيث وثقت بطريقة أو بأخرى مجمل النشاطات العثمانية الرسمية وقتذاك، وصاغت التاريخ من تلك الزاوية، بالتالي لا يمكن الغنى عن هذه الصحيفة أو تجاهلها في عملية التأريخ لتلك الفترة. والأرشيف العثماني الخاص بولاية اليمن وكذلك المركز الوطني للوثائق يعجا بالعديد من أعداد الصحيفة

المتضمنة والمحتفظة بالجم من التفاصيل والمفردات التاريخية عن ذات الفترة والتي يمكن الرجوع إليها في أي وقت. تلك المادة الغزيرة التي يمكن الاستفادة منها في تغطية أخبار الدولة العثمانية أو سد بعض فجوات التاريخ العثماني عمومًا.

وكذلك الحال بالنسبة لسلطة الاستعمار البريطاني في عدن فهي الأخرى أصدرت العديد من الصحف في مستعمرة عدن لذات الأغراض والتي وثقت للجانب الرسمي منه، وسجلت معظم أخبار الاحتلال من وجهة نظر رسمية/ استعمارية، كما صاغت التاريخ وفق رؤية تتناغم وخطابه وتوجهاته. ومن نماذج تلك الصحف الجريدة الرسمية والقلم العدني.. الخ، وغيرها من الصحف ذات الطابع الرسمي التي تدور في فلك السلطة الاستعمارية أخبارا وتغطية وتوجه. والتي وثقت وصاغت التاريخ اليمني المعاصر، زمن الاستعمار، من وجهة نظر حكومة الاستعمار البريطاني، وحوت صفحاتها الجم الغفير من المادة التاريخية المحسوبة على الاستعمار، والتي تشكل مادة علمية غزيرة.

في حين أدركت السلطة الإمامية، في شمال الوطن منذ وقت مبكر، أهمية الصحافة ودورها في صناعة الرأي العام والتأثير فيه، قبل أن يُسمح بإصدارها رسميًا داخل البلاد، إذ اعتمد الإمام يحيى في مصادره الإخبارية على الصحف العربية، لاسيما المصرية والسورية والعراقية، حيث نشر أولى بياناته السياسية فيها، وعبر عن بعض رؤاه ومواقفه تجاه بعض القضايا من خلالها [١٦]، الأمر الذي أوجد لديه نوعًا من القناعة حول جدوى الصحافة، جعلته يسمح بإصدار صحيفة رسمية ناطقة باسم نظامه ومعبرة عن سلطته، هي صحيفة الإيمان ، وكذلك الإمام احمد اصدر صحيفة رسمية اطلق عليها اسم صحيفة النصر. وكلا الصحيفتين الرسميتين (الإيمان، والنصر) أدتا نفس الدور وذات الوظيفة، كونهما عبرتا عن لسان حال سلطة رسمية واحدة هي الإمامة، في عهد الإمام يحيى، وولده احمد، وعكستا قراءة متقاربة، إن لم تك متطابقة، لتاريخ اليمن المعاصر زمن الإمامة الواحدة.

أما النظامين الجمهوريين في شمال وجنوب الوطن فقد أصدرا بعد نجاح ثورتي سبتمبر وأكتوبر صحيفتين رسميتين هما صحيفة الثورة، وصحيفة ١٤ أكتوبر ظلتا بمثابة الوعاء الكبير الذي استوعب جل مفردات الخطاب السياسي الرسمي لكلا النظامي، واللتان، حتما، قد اختزنتا الشيء الوفير من التاريخ الرسمي للفترة تلك، والتي نرى، منهجيا، ضرورة تفردها ببحث مستقل بذاته، ليس مجال ذكرها هنا. وكذلك الأمر بالنسبة لنظام الوحدة اليمنية الذي أبقي على الصحيفتين ناطقتين رسميتين له، بالإضافة الى وجود بعض الصحف الرسمية الأخرى مثل صحيفة ٢٦ سبتمبر العسكرية، وغيرها من الصحف ذات الطابع الرسمي أو القريبة منه، لولا أن هذا البحث سوف يكتفي بتناول ثلاث نماذج من الصحافة اليمنية، رسمية وحزبية وأهلية، نتعرف من خلالها كيف وثقت التاريخ وصاغته وحسب.

فالصحافة الرسمية الإمامية، ممثلة بصحيفتي الإيمان والنصر، انطلقت في توثيقها للتاريخ وصياغته من خلفية تمثل وجهة النظر الإمامية الرسمية، فقد أمر الإمام يحيى بإصدار صحيفة الإيمان عام ١٩٢٦م لتكون أول صحيفة رسمية في عهد الإمامة، ولسان حال حكومته، والمعبرة عن سياسته وتوجهاته[١٧]. وبما أنها صحيفة رسمية فإنها، بالضرورة الرسمية ومن أول أعدادها، قد وثقت لكل ما هو رسمي إمامي، وصاغت التاريخ، في زمنها، وفق الفلسفة الإمامية والقراءة الرسمية لها.

هذه الصحيفة التي صدرت في ظروف سياسية كل ما فيها كان رسمي/ إمامي، وكانت الوسيلة الإعلامية الرسمية المعبرة عنه والناطقة باسمه[١٨]، تعددت القراءة حولها وتباينت الطروحات إزاء دورها ووظيفتها. فعلى الرغم من أنها قد قدمت نفسها على إنها مشروع إعلامي/ ثقافي - أيًا كان مستواه - يحمل رسالة تنويرية وعظيه ويدفع باتجاه تعزيز الرابطة الدينية[١٩]، إلا أن ثمة جدل وتباين حولها تمحور بين التناغم والاستهجان والحياد، فهناك من رأى أن صدورها أتى من أجل دعم تماسك الجبهة الداخلية وإثارة الحماس الوطني لتحقيق وحدة الأرض اليمنية ولمواجهة الحملات الإعلامية التي يقوم بها الاستعمار لتمزيق الوحدة الوطنية عن طريق إثارة النعرات الطائفية بين الزيود والشوافع، والنعرات العنصرية بين القحطانيين والعدنانيين[٢٠]. في حين رأى أخر أنها مجرد وسيلة من وسائل الدعاية الإعلامية الإمامية التي سعت الى توطيد السلطة المركزية للإمام

يحيى وعائلته[٢١]، وما خطابها ومادتها الصحفية إلا تجلي إعلامي للتاريخ الرسمي الإمامي، وصدى صحفي لقرارات الإمام وتحركاته [٢٢]، فضلاً عن إنها صحيفة قصرية لا توثق إلا للجانب الرسمي أو ما يروقه ويتوافق مع سياسته وتوجهاته[٢٣].

وأيًا كانت تلك القراءات فإن صحيفة الإيمان، وما تحويه، مثلت نموذجًا تقليديًا/ ملتزمًا للصحافة الرسمية التي ينبغي عليها أن تكون، حيث أدت وظيفة مرسومة سلفًا وحملت رسالة إعلامية موجهة، أيًا كان مستواها، كانت لها سياستها الخاصة، وشروطها وظروفها الزمانية والمكانية التي صاغتها وتشكلت وفقًا لمعطياتها والتي لا ينبغي قراءتها بمنأىً عن سياقاتها[٢٤]. تبدت، في توثيقها للتاريخ وصياغته، بمثابة الوعاء الذي استوعب جلّ مفردات الخطاب السياسي الرسمي للسلطة، وصوتًا إعلاميًا صاغ تاريخ اليمن المعاصر وفق منطق الفكر السياسي الزيدي (الهادوي)، الذي تبنته الإمامة كنظرية ومنهج للحكم، وإن غايرته الصحيفة في كثير من جوانبه كتبرير ولاية العهد وتوريث السلطة وغيرها[٢٥].

إن المتصفح لإعداد الصحف الإمامية الرسمية (الإيمان، النصر) في كل مراحلها يجد أنها قد حفلت بالعديد من المقالات والأخبار ذات النفس الرسمي الإمامي، وحوت مادة علمية/ تاريخية غزيرة تبين الطريقة التي صاغت بها تاريخ تلك الفترة، وكيفية قراءاتها له ولأحداثه. حيث تركزت بشكل أساسي في محاور رئيسية هي: الأخبار الرسمية للسلطة الإمامية، والترويج للفكر السياسي الإمامي، والادلجة المذهبية، وتضمنت رؤيتها للوحدة الوطنية اليمنية، والوحدة القومية العربية، والرابطة الدينية للجامعة الإسلامية، كما احتفظت في طي صفحاتها مواضيع جدلها السياسي/الثقافي مع الأخر المذهبي والسياسي، ناهيك عن بعض تناولاتها فيما يخص السلطة والحكم.

فعلى صعيد الفكر نجد أنها قد تعاطت معه بنمطية حدية تمثل اتجاه فكري واحد، حيث حملت رسالة إعلامية ذات مضمون إيديولوجي، وبعد سياسي/ مذهبي يحمل طابع الخطاب الإمامي الرسمي وسماته، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد العدد الأول من صحيفة الإيمان الصادر في جمادي الأول سنة ١٣٤٥هـ أكتوبر سنة١٩٢٦م، قد حفلت مواضيعه بالترويج لثقافة من شأنها تكريس مصطلحات ومفردات (الأحقية...التميُّز...ظل الله ...الولاية...الاصطفاء...الخ)، ومحاولة تصييرها ثقافة رائجة سياسيًا ومستساغة إيديولوجيًا لدى الراي العام الشعبوي والنخبوي على حد سواء، كما وظفت الصحيفة في سبيل تحقيق ذلك النص الديني والمثيولوجيا والشعر وكل ما من شأنه خدمة سياستها، وتحقيق أهدافها[٢٦]، وكذلك الأمر مع صحيفة النصر نجد أنها في المجال الفكري قد تعاطت معه، أيضًا، طوال مراحل صدورها بنفس الخلفية والأسلوب الذي اتبعته صحيفة الإيمان[٢٧].

أما تناولات الصحافة الرسمية الإمامية لقضية وحدة اليمن الطبيعية، والتي وثقت مواضيعها العديد من إعدادها، فقد عكست، بطريقة أو بأخرى، رؤية ومفهوم الإمامة الرسمية وحسب، إذ نجد ثمة تمازج وخلط بين مفهومي الوطنية والقومية في مفهوم اختزالي واحد هو الرابطة الدينية، بحسبانها الدين أساس الهوية وأصل الانتماء، وهو ما فطر عليه اليمنيون في تدينهم وقوميتهم. طرحت ذلك في العديد من المقالات([٢٨]. ولعل المقالة المنشورة في صحيفة الإيمان بعنوان "بحث في الوحدة اليمنية"، تُعَدّ نموذجًا بارزًا يوضح مفهوم الصحافة الرسمية للوحدة الوطنية عموما والوحدة اليمنية بشكل خاص، إذ رأت أن وحدة الدين والعقيدة مقدمة على رابطة الجنس واللغة والوطن، وان الوحدة اليمنية يجب أن تكون على أساس الدين أولا ثم الوطن والجنس واللغة[٢٩]. كما أننا نلاحظ من خلال بعض المقالات الفكرية أن الصحافة الرسمية قد تعاملت مع المذهبية بشيء من الحذر ربما نوع من الدبلوماسية إن جاز التعبير، ففي الوقت الذي اعتبرت الاختلاف المذهبي أمر طبيعي ومشروع، دينا وخلقا، استهجنت المعارضة/السياسية (الضدية)، واعتبرتها عملاً عدائيًا[٣٠].

كما نجد أنها قد تعاملت مع القضية الجنوبية بمسؤولية وطنية، ولم تتوانى في المطالبة بالاستقلال وتوحيد الوطن، كون اليمن جزء واحد غير قابل للتجزؤ، ولم تعترف بأي حق أو مشروع يفرضه الاستعمار البريطاني[٣١]، وكانت كل الصحف الرسمية تسمي المناطق الجنوبية النواحي تأكيدًا على يمنيتها، وليس المحميات تماشيًا مع السياسة الاستعمارية البريطانية[٣٢]، وهو ما

يؤكد وحدويتها، ويوضح في الوقت نفسه أنها قد صاغت التاريخ في هذا الجانب وفق هذا الأفق.

وفيما يتعلق بالقضايا القومية والإسلامية فان الصحافة الإمامية الرسمية قد وثقت وتعاطت معها من منطلق الموقف الرسمي للإمامة نفسها، والمبني على أساس المفهوم الذي قوامه الديني قبل القومي؛ إذ دعت في الكثير من إعدادها إلى الوحدة العربية والإسلامية التي قوامها الدين قبل أي شيء آخر[٣٣]، وقالت في خضم تناولاتها: أن الوحدة العربية/ القومية لا تتحقق إلا إذا تحققت الوحدة الإسلامية أولاً[٣٤] على الرغم من أنها ناقضت خطابها هذا في ظروف سياسية مختلفة، حيث دعت الى إقامة تكتل سياسي على أسس غير دينية بين مختلف دول الشرق يسمى "اتحاد الشرق"[٣٥].

أما بشان مفهوم السلطة والحكم فقد تركزت وظيفة الصحف الرسمية/ الإمامية، في الدور الدعائي/الترويجي للحاكم وحاشيته من أسرته وتقديمه بمثابة الحاكم القدوة/ الضرورة الذي يجب اتباعه وعدم مخالفته دينًا وشرعًا، مبررة ذلك بمسوغات دينية ووطنية، موظفة النص الديني المأول والشعر والموثيولوجيا وكل ما من شانه يصب ويخدم مسالة احتكار السلطة وتابيدها، جاعله من تأييد اليمنيين واعتيادهم لحكم الأئمة نوع من التلازم العضوي والترابط العقدي بين الشعب اليمني المؤمن وحكامه المصطفيين[٣٦].

واعتبرت مَنْ يخالف هذه الرؤية عميلا ومتأمرًا ضد الدين وضد آل البيت[٣٧] .

وهو الأساس الفكري والنظري الذي انطلقت منه جميع الصحف الإمامية الرسمية في جدلها الطويل مع حركة المعارضة اليمنية وصحفها الحزبية[٣٨].

كما كانت هذه الصحف تهتم بالمناسبات الدينية والذكريات التاريخية التي تخدم السلطة الإمامية، فعلى سبيل المثال لا الحصر كانت تقدم ذكرى يوم الغدير على انه يمثل "رمز الخلافة الهاشمية، ومصدر سلسلة الإمامة العلوية الفاطمية"[٣٩]، وكذلك الأمر مع بقية المناسبات ومعظم الاحتفالات التي تؤكد في خطابها الإعلامي مسالة ولائها للهاشميين وتدعو الشعب الى تعزيز ذلك[٤٠].

وعلى أية حال يمكن القول في نهاية الحديث عن الصحف الرسمية في اليمن، وكيفية توثيقا التاريخ وصياغته، أنها كانت عبارة عن صدىً إعلامي للسلطة الإمامية الرسمية وحسب. وكانت سجلاً متنوعًا احتضن تراث الإمامة، واستوعب جل مفردات خطابها، كما كانت سفرًا حافلاً بالمواضيع والأحداث التي أرخت لليمن المعاصر.

ثالثًا: الصحافة اليمنية الحزبية (المعارضة) صوت اليمن أنموذجًا

لعبت الصحافة اليمنية المعارضة دورا كبيرا في تشكيل وتوثيق أحداث ووقائع التاريخ اليمني المعاصر حيث عبرت عن اتجاه سياسي كان معارضا في رؤيته للسلطات الحاكمة، بالتالي احتفظت في طيات صفحاتها العديد من المقالات والأخبار ذات التوجه المعارض المعبر عن وجهة نظر أخرى مغايرة ومختلفة عن التوجه الرسمي يمكن لنا أن نسميها الوجه الأخر للحقيقة الموضوعية التاريخية. فالمعارضة اليمنية بكل تعبيراتها مثلها مثل السلطة الرسمية قد استخدمت الصحافة لذات الأغراض والأهداف كونها كانت تمثل لسان حالها والناطقة باسمها، بل والمعبرة عن توجهاتها وأهدافها. لذا فإنها – أي الصحافة – قد استوعبت جل مفردات خطاب المعارضة بكل مستوياته وتعبيراته وسجلت أحداث ووقائع وفق رؤية وتوجه المعارضة نستطيع القول إنها مثلت القراءة الأخرى لتلك الأحداث ليس إلا.

ومن نماذج الصحف التي استخدمتها حركة المعارضة اليمنية، التي وثقت لأدبياتها ومواقفها وكتبت التاريخ بطريقتها ووفق رؤيتها، صحيفة صوت اليمن الصادرة في عدن عام ١٩٤٦م باسم الجمعية اليمانية الكبرى التي تراسها كل من القاضي محمد محمود الزبيري والأستاذ احمد محمد نعمان، والتي ظلت طوال فترة صدورها ناطقة ومعبرة عن صوت المعارضة اليمنية ضد الإمام يحيى ومن بعده ابنه الإمام احمد. ومن خلال الاطلاع على إعداد صحيفة صوت اليمن نجد أنها أولت الاهتمام بنقد النظام الإمامي، تركز في بداية الأمر بالمطالبة بالإصلاح السياسي والدعوة الى تبني نظام الملكية الدستورية، كما تطور خطابها الإعلامي/ السياسي شيئًا فشيئًا تبعًا لخط ونهج حركة المعارضة نفسها إلى أن تم إغلاقها من قبل سلطات الاستعمار البريطاني في عدن إثر فشل حركة

١٩٤٨م في شمال الوطن، لتعاود الإصدار مرة ثانية من القاهرة وبنفس الزخم الثوري المعارض للإمامة.

ولقد تبنت فكر وتوجه المعارضة اليمنية، وصاغت التاريخ وفق وجهة نظرها، وحملت الجم الغفير من الأخبار والوقائع التي حدثت طوال تاريخ اليمن المعاصر، لتتبدى من ثم سفر حافل بالكثير من المادة التاريخية وسجل غزير المعلومة وثق لتلك الفترة من وجهة نظر معارضة.

أما صحيفة السلام الصادرة في كارديف ببريطانيا عام والتي أصدرها الأستاذ عبد الله الحكيمي فهي الأخرى مثلت صوتا أخر للمعارضة اليمنية، صاغت التاريخ بنكهة مختلفة تنزع نحو النفس الصوفي الثوري، كما مثلت وعاء أخر استوعب مفردات خطاب سياسي لقراءة مغايرة، لذا فنحن نعدها مصدرا مهما من مصادر تاريخ اليمن المعاصر لا غنى عنه في توضيح وجهة نظر معينة. كان لها دور فاعل في صياغة وتشكيل ملامح تلك الفترة. وكذلك الأمر بالنسبة لصحيفة الفضول ثالثة الصحف اليمنية المعارضة الصادرة من عدن عام ١٩٤٩م برئاسة الشاعر عبد الله عبد الوهاب نعمان (الفضول)، والتي صاغت التاريخ بنكهة تميل نحو الفكاهة والسخرية، مثلت التعبير التهكمي والوجه الأخر لصوت المعارضة بعد هزيمتها في ٤٨، كما حفلت مواضيعها بالعديد من الأحداث والقضايا التي وثقتها الصحيفة، وشكل خطابها الهزلي ومفرداتها الفكاهية نوع من الصياغة الساخرة والمعارضة للتاريخ.[٤١]

تبنت صحف المعارضة اليمنية نهجا سياسيا معارضا لسياسة الإمامة، كما تمرحلت في خطابها وتوثيقها للتاريخ وفقا لتمرحل المعارضة نفسها. وقد تركزت اهتماماتها في الأمور التي تهم المعارضة وقدمت التاريخ أو بمعنى اصح صاغته من وجهة نظر المعارضة[٤٢]. حيث جعلت رسالتها موجهه منذ البداية نحو تثوير الشعب ضد الإمامة [٤٣]، وضد ما وصفته بالمناطقية والمذهبية[٤٤].

"إن الخطاب السياسي الذي حوته كل من صحف السلطة والمعارضة يبدي – إلى حد كبير– مدى تقارب الطرفين في مفهومهما للدولة ووظيفتها، كما يظهر واحدية الثقافة السياسية التي كانت تجمعهما وواحدية الانتماء، والتي مبعثها – في اعتقادنا – واحدية المرجعية وتماثل الخلفيات، المتشكلة ضمن الإطار الإسلامي الجامع، وان كانت ثمة فروقات ليست بالجوهرية، تشكلت ضمن الأطر المذهبية المتباينة عبرت عنها تلك الصحافة بنحو أو بآخر"[٤٥].

كما نجد أن الصحف الحزبية (المعارضة) استخدمت نفس الصيغ التعبيرية في خطابها السياسي وذات المفردات في صياغة التاريخ –طبعا-مع الاختلاف في وجهات النظر تجاه القضايا[٤٦]، على الرغم من استهجانها لخطاب الإمامة الرسمي.

والمتصفح لصحف المعارضة يلحظ أن مطالبها الإصلاحية تركزت حول إصلاح النظام السياسي الإمامي والمتمثل في النقاط الأتية:

١- تأسيس مجلس شورى للدولة يتكون من العلماء والأعيان والمشايخ وأصحاب الرأي

٢- تشكيل وزارة من الأكفاء لها منهج إصلاحي شامل وسياسة مرسومة.

٣- احتفاظ سيوف الإسلام بمكانتهم كأمراء وابتعادهم عن تولي المناصب في الدولة.

٤- إصدار مرسوم ملكي بشأن تأسيس الوزارة المسئولة، وتشكيل مجلس الشورى.

٥- الموافقة على تشكيل لجنة مراقبة من الوطنيين يكون مقرها عدن أو القاهرة[٤٧].

وان تغيرت هذه المطالب بعض الشيء مستقبلاً، وتطورت تبعًا لمواقف المعارضة من مستجدات الأحداث[٤٨]. فعلى سبيل المثال لا الحصر طرح موضوع ولاية العهد ومناقشته شرعيا والذي قالت إن الإمامة لا تجيزه أساسًا، متسائلة كيف يجيزه الإمام يحيى لنفسه ولابنه، محاولة استغلال هذا الموضوع وأثارته للرأي العام، ومطالبة الإمام يحيى تشكيل مجلس شورى ومجلس وزراء من مختلف نخب وشرائح المجتمع اليمني، كي تستقر البلاد، ومماثلة بالبلدان العربية[٤٩]. كما أيدت ما ورد في صحيفتي (الصداقة) و(فتاة الجزيرة) في هذا الموضوع المتعلق بولاية العهد في اليمن، والذي نقدته واعتبرته مخالف لشروط الإمامة[٥٠]، وهو نوع من النقد والمعارضة الرامية الى إثارة التنافس بين الأمراء من جهة وكشف مخالفة الإمامة أمام الجمهور من جهة ثانية.

يمكن لنا القول: إن صحف المعارضة قد تميزت بغلبة الطابع والنفس ذي النزوع السني على مقالاتها، لذا تبدت في صياغاتها حافلة بصيغ وتعابير تنتمي قاموسيًا إلى مصطلحات الفكر السياسي السني، على عكس الصحف الرسمية والموالية للإمامة التي حفل قاموسها بصيغ ومصطلحات تقول بأفضلية آل البيت وأحقيتهم في السلطة والحكم، وتلك التباينات التي تعود – كما نعتقد - بجذورها إلى تباين المرجعيات والخلفيات.[٥١]

ومن أمثلة تلك المفردات والصيغ التعبيرية التي لا تكاد تخلو منها أي مقالة نشرتها الصحف المعارضة، تطرقت فيها ضمنًا أو صراحةً لشؤون السلطة والحكم في اليمن: "وأمرهم شورى بينهم" و "وشاورهم في الأمر" و "وليت عليكم ولست بخيركم فإذا زغت فقوموني" و "أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم" وغيرها من المفردات والصيغ المستنبطة من قاموس فقه التراث السياسي السني، الذي يؤكد بشرية الخليفة وعدم عصمته، وضرورة إشراك الأمة في الأمر الذي هو شأن بشري لا أحقية فيه[٥٢] ////، فضلاً عن أن الصحف الحزبية قد أشارت صراحةً إلى مشروع دولة ذات ملمح علماني يغاير رؤية الوصية والحق الإلهي، ويعالج إشكالية الدولة خارج إطار النص المراد تطويعه – اعتباطًا – لمصلحة أحد طرفي الصراع، فبعد أن أقرَّت نظرية ابن خلدون في العصبية القبلية وبناء الدولة، وأطوارها الثلاثة (قوة، ضعف، انحلال)، عرّفت الدولة: بأنها ذلك الكائن الاجتماعي الذي يصنعه العقل الاجتماعي وليس النص الديني، كما أخذت تفند العلل التي تعجل تآكل الدول وتحتم تشظيها ومن ثم سقوطها (= حالة المملكة المتوكلية اليمانية نموذجًا)، والتي من أبرزها تحول عوامل بناء الدولة إلى عوامل هدم في نهاية عهدها، فالشعب الذي قامت على حبه وولائه يصبح عدوًا يتربص بها الدوائر، والمال الذي طوَّع الكثير من الرجال لصالحها يتحول إلى موضوع إغراء وأطماع. وكذلك "المبادئ التي انتصرت باسمها الدولة وبنت عليها قواعد العرش، كثيرًا ما تكون هي التي تهزم الدولة وتأتي عليها من القواعد "وان رجال الدولة والنخبة الحاكمة يتحولون إلى منتجي أعداء ومثيري أزمات لا يستطيعون البقاء إلا في ظلها، وعندما تصل الدولة إلى هذه المرحلة، مرحلة التشبع، تبشر بدنو النهاية التي يعقبها الفناء، وتنصح الإمامة بإلغاء نظامها القائم وإتباع النموذج الدستوري والبرلماني، لتفادي خطر السقوط المحتم[٥٣]

وفي خضم الجدل الإيديولوجي الذي خاضته الصحف الحزبية مع الصحف الرسمية ردت صحيفة صوت اليمن على صحيفة الإيمان فيما أسمته بادعاءات الإمامة بالحكم بالشريعة الإسلامية حيث أثارت تساؤلات فحواها أي شريعة إسلامية تقصد صحيفة الإيمان: "...لأننا نقرأ القرآن الذي انزل على محمد (ﷺ) فنجد فيه هذه الآية الكريمة (وشاورهم في الأمر) ونقرأ فيه (وأمرهم شورى بينهم) ونطلع على مبدأ الشورى حتى عند فرعون (فماذا تأمرون، قالوا أرجه وأخاه)، وعند بلقيس عابدة الشمس (أفتوني في أمري، ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون) "، وهو ما لم تجده صوت اليمن محققاً في اليمن، باستثناء مقولة السيف أحمد التقليدية: "أطيعوا أمري ولو كان اعوج مثل رجل الكلب"، وإمعانًا في الاستهجان وتكذيب الإيمان قالت: "متى كان في دين محمد بن عبدالله تأليف جيش مسلح لاحتلال بيوت الضعفاء واستباحة حرماتهم باسم الخطاط ؟ متى سار سلفكم الصالح سيرة الحاكمين بأمرهم في اليمن سجنوا الأطفال باسم الرهائن... هل في شريعة محمد بن عبد الله وأخلاق العرب وسيرة السلف الصالح أن يشقى شعب بأسره ليسعد بضعت أفراد وان تنزل العقوبات بالناس بدون محاكمات"[٥٤]، على اعتبار أن الإمامة كانت تدعي تمثيل الشريعة الإسلامية والسلف الصالح، الأمر الذي حاولت معه تغليف ذلك الجدل بالصراع المذهبي، وهو ما استبعدته صوت اليمن حيث قالت على لسان الزبيري: "قال جلالة الإمام لملأ من جلسائه: يجب علينا أن نلقن الشباب كتب الأئمة الزيدية القديمة لينشؤوا على طاعتنا وحبنا وتقديسنا.. فلو أن هذا الزبيري الخبيث قرأ شيئًا من هذه الكتب لما أقدم على التمرد والعصيان..." وردت في هذه المقالة على كلام الإمام أن الزبيري لم يجهل كتب الزيدية القديمة بل انه قرأ النافع منها وعمل به، وذكرته بالأصول الخمسة للزيدية[٥٥]، وانه عمل فقط بمبدأ الخروج على الظلمة، احد أهم مبادئ الزيدية، والذي عمل به معظم أئمة آل البيت الذين يعتبرون قدوة الأحرار في العالم كله[٥٦]. ومن صور حسن النية التي أبدتها صوت اليمن تجاه (آل البيت)،

دفاعها عن الإمام الهادي يحي بن الحسين (تـ ٩١٠م)، المتمثل في ردها على "فتاة الجزيرة" التي قالت: "نحن نعلم أن الإمام الهادي لم يكن خيرًا من الإمام يحي" وان الأئمة لم يكونوا جميعًا عادلين، ردت عليها برفض التعميم، وقالت إنما تعارض أدعياء آل البيت، الذين يظلمون الناس باسمهم وباسم الإسلام، واستشهدت على ذلك بقصيدة ابن الأمير الرائية التي مطلعها: "سماعًا عباد الله أهل البصائر..." التي ترفض استبداد الأئمة وظلمهم. لذلك استثنت الإمام الهادي من تلك المظالم ووصفته بالعادل الزاهد الذي يجعله في مصاف (عمر بن عبد العزيز) والخلفاء الراشدين، واستدلت بمقولته المشهورة: "إن هي إلا سيرة عليّ وإلا فالنار" كما دللت على عدالة حكمه بمبدئه الذي قرره في كتابه (الأحكام) قوله في باب الحدود: "وممن حده القتل الإمام الجائر.." وقارنت بين قوله: "إذا جرت فاقتلوني"، وقول أبي بكر رضي الله عنه: "إذا زغت فقوموني"، وشتان بين تقويم الحاكم إذا زاغ واستبد وبين قتله لنفس السبب، وفي نهاية المقالة قارنت بين قول الهادي وواقع الإمامة في اليمن المتوكلية، "فهذا هو الإمام الهادي يا أستاذ لقمان فنرجو أن لا تكون فضائح الظلمة السفاحين حكمًا عامًا يشوه سمعة آل البيت جميعًا.. أما الطغاة الظالمون الذين يتخذون من شرف أنسابهم وسيلة للإجرام والطغيان فلا نصيب لهم من الشرف النبوي"[٥٧].

وفي ذات السياق انتقدت صوت اليمن الدور الإيديولوجي الذي كانت تمارسه إذاعة صنعاء، التي قالت إن مهمتها اقتصرت على ترديد "غادر العاصمة" و "قدم العاصمة"، تقصد الإمام وحاشيته، وعلى أدلجة الناس بوجوب محبة (آل البيت). وتساءلت من هم آل البيت؟ هل هم من جسد أخلاق الرسول (ﷺ)؟ فليس هناك إشكال حولهم فجميع المسلمين مجمعون على محبتهم من دون تعبئة. أما إذا كانت الإذاعة تقصد بهم السيوف الوزراء الذين عاثوا في الأرض الفساد وظلموا الأمة باسم الإسلام، فلتبحث إذاعة صنعاء عن عالم آخر لتسويق بضاعتها وتمارس فيه تلك الأدلجة[٥٨]. ويلاحظ هنا أن صوت اليمن وظفت – بطريقة أو بأخرى – نصوص الفقه السياسي السني في رفض واستهجان مسألة احتكار السلطة وادعاء أحقيتها، في حين وظفت بالمقابل الجانب التحرري من الفقه السياسي الهادوي والمتمثل في مبدأ الخروج على الإمام الظالم في موضوع خروجها على الإمام. وان كان مبدأ الخروج هذا لا يقتصر إلا على سلالة معينة من دون عامة الناس.

فمن دعواتها الإصلاحية غير السياسية محاولة نقد وتصحيح بعض المفاهيم السطحية المتعلقة بحفلات المولد النبوي التقليدية التي كان يحييها اليمنيون تبعًا للعادة المألوفة، والتي صيرّوها بالتقادم إلى مجرد مظاهر شكلية خالية من الروح والمعنى، والى روتين ممل لا جديد فيه. فعلى الرغم من أهميتها للتهذيب والإصلاح، لكن لا قيمة لها إذا لم تدخل دائرة الفعل المنجز والوعي المدرك، وقالت لو أن روح الرسول (ﷺ) اطلعت على تلك الاحتفالات التقليدية لساءها ما وصلت إليه الأمة من سلبية وجمود، ولتساءلت مستغربة عن مصير "النبع الإلهي" الذي تركه الرسول بين ظهراني المسلمين، ذلك النبع الذي عولم القيم والأخلاق القرآنية، وأنسن السياسة والثقافة الإسلامية، حتى غدا المسلمون بمقتضاه سادة العالم وأصحاب رسالة خالدة. أما عندما افتقدوه وغادر حياتهم صاروا خارج نطاق الفعل الإنساني يقبعون أذلاء خارج نطاق التاريخ.

ولكي تتحقق النهضة وينجز الإصلاح، حثت الصحف الحزبية على ضرورة فهم روح الإسلام الصحيح، واشترطت لذلك صحة العقيدة. وصل بها الأمر إلى طرح سؤال جوهري وملح فحواه: "ما هي العقيدة التي يستقربها أمر الإسلام ؟"، رأت في الإجابة العقلية عليه أساس النهوض وأصل الإصلاح بل جسر العبور نحو الرقي والتقدم، لأن العقيدة الصحيحة هي الروح الوثابة السارية في ضمير ووجدان الأمة، وهي الفاعلية المتدفقة في حياة الإنسان، فبدونها تصبح الحياة مجرد حركة ميكانيكية ونوازع غرائزية تتشكل وفقًا لفلسفة القوة ومنطق الغلبة ليس إلا: "أيها المسلمون... لا يكفينا أن نزعم التفاني في حب الرسول (ﷺ) ونحن بمعزل عن نهجه وسيرته، وليست العقيدة كلامًا يقال ولا خطبة تلقى ولا شعرًا يبتكر ولا تأوهات ترسل في المناسبات ولكنها المبدأ الثابت الصارم الذي يسيطر على الروح ويهيمن على النفس ويشعل النار في الدم ويخرج من الإنسانية أبطالاً يستهينون بالحياة ويقدمون إقدام الآني الجارف الذي لا يلوي على شيء في شعابه ومنحدراته"[٥٩]، وانتقدت الفهم الخاطئ للعقيدة وإقرانها بالمذهبية: "إن

كثيرًا من الناس يظنون أن العقيدة مجرد التسمية إلى مذهب فلان أو فلان أو الاقتناع برأي من الآراء العابرة المتقلبة وهم بذلك يخلطون ويتخبطون، والواقع أن العقيدة لا تؤدي معناها الصحيح إلا حينما تكون هي المتصرفة بمصير المؤمن المؤثرة على كل شأن من شؤونه قد اتصلت بتاريخه وتحكمت في سمعته وخلقت له الأعداء والأصدقاء وكبدته الخطوب والأهوال وأصبحت عنده مسألة حياة أو موت"[٦٠]، فإذا ما بلغت العقيدة تلك الدرجة وأصبحت جزءًا من مكونات الإنسان الشخصية فسوف تُصنع عندئذ اللحظة التاريخية ويحدث التغيير والإنجاز. أما إذا استُعصى الفهم الصحيح وندر الرجال المبدئيون ذوو العقيدة الراسخة فإن الاندثار والاضمحلال هو الكائن في الأمة لا محالة.

وتواصل الصحف الحزبية نقدها لما أسمتهم أصحاب العقائد الجامدة الذين قالت عنهم إنهم يزيفون وعي الأمة ويطوعون العقيدة الإسلامية لخدمة مصالح الحاكم الفرد بغية التكسب والربح المادي السريع، وحذرت الأمة من خطرهم والانجرار اللاواعي وراء أوهامهم، وقالت: إن هؤلاء الجامدين لا ينظرون إلى العقائد إلا من الزاوية النفعية والنفعية فقط. وان الغلبة والبقاء لا تكون – بالمطلق – دومًا وأبدًا إلا للعقيدة الصحيحة الخالية من الجمود والخرافة.[٦١]

هذا وهناك العديد من القضايا والإشكالات في مختلف الجوانب والأصعدة تطرقت إليها صحف المعارضة وحاولت إصلاحها وفقًا لرؤيتها الخاصة التي هي بالضرورة رؤية المعارضة، والتي تجاوزناها خشية الإطالة واكتفينا بالتركيز على الجانب السياسي، لاسيما الاستبدادي منه انسياقًا مع جلّ موضوعاتها ومجاراة لأهم اهتماماتها وأهدافها.

استهلت الصحف الحزبية مشروعها السياسي الإصلاحي بالمطالبة بالدستور وحكم الشورى – كما رأينا آنفًا – وظلت في مطالبتها طوال مراحل صدورها ومع استمرارية مطالبتها تلك، رفضت ثقافة الاستبداد بكافة أشكالها ومسمياتها، حتى لو جاءت تحت ستار ديني أو غلاف وطني، لان الاستبداد لديها كل لا يتجزأ وليس له إلا معنى واحد هو الظلم والجور والعربدة غير المبررة في الأرض والتحكم اللا شرعي بمصائر الناس، والذي لا يمكن – بأي حال من الأحوال – القبول به أو السكوت عنه مهما بُررَ سياسيًا وسُوغَ دينيًا واجتماعيًا.

فقد شنت حربًا لا هوادة فيها ضد ما أسمته استبداد المؤسسة الإمامية الحاكمة، وقادت حملات إعلامية واسعة النطاق للتشهير بفساد الجهاز الإداري للحكومة المتوكلية، وجعلت من ذلك ديّدنها الدائم ورسالتها المقدسة، حتى تبدت لكأنها مجرد نشرات سياسية ضمت بين دفتيها بيانات ومنشورات الأحرار الطافحة بالثورية والمتمردة على المألوف الإعلامي الرسمي المعتاد في اليمن.

ولقد وجهت صحف المعارضة خطابها إلى كل من المؤسسة الإمامية الحاكمة والشعب في آن معًا، ووظفته في اتجاهين متوازيين، وعظ وتوعّد الحاكم المستبد من جهة وتوعية وتثقيف الرأي العام الثائر من جهة ثانية، ومن أمثلة ذلك ما قالته صحيفة صوت اليمن: "الجماعة المتحدة على الحق لا يغلبها الفرد الذي يفرض عليها الباطل"[٦٢] الذي هدفت من ورائه وعظ الحاكم وتحذيره من مغبة التمادي في استبداده وتقوية عزائم الأحرار ومن ورائهم الشعب.

يتضح من خلال الاقتباسات العديدة التي استخدمتها صوت اليمن بكثرة في موضوعة الاستبداد أن كتاب عبد الرحمن الكواكبي (تـ ١٩٠٢م) (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) كان يشكل رافدًا فكريًا وثقافيًا هامًا لمعظم محرري الصحيفة، فعلى الرغم من أن صوت اليمن قد اتخذت منه دليلاً نظريًا في محاربة الاستبداد وثقافته، إذ استعرضت الكثير من مضامينه ونشرت بعض موضوعاته وانتقت بعض مصطلحا ته، موظفة ذلك في سبيل تكثيف الحس الثوري وتجييش الرأي العام ضد ما أسمته طغيان واستبداد الحاكم الفرد[٦٣]، إلا أن لها اجتهاداتها الخاصة في تعريف الاستبداد، فقد عرفته على هذا النحو: "هو المشنقة التي تتسع حلقاتها لخنق أمة بأسرها فإذا أرادت الأمة أن تتخلص من الموت فما عليها إلا أن تقطع حبل المشنقة وتحطم أعوادها. وهو الجريمة التي تتلاشى أمامها جريمة السرق والقتل والاعتداء"[٦٤]. ولكي يتخلص الناس من الاستبداد طلبت منهم تهجيه حرفيًا وبصورة تكرارية في الصباح والمساء وفي البيت والمسجد، بل في كل مكان، واستحضاره – ولو وجدانيًا – في صلاتهم وفي كل لحظاتهم، حتى يغدو لديهم بمثابة

الراتب اليومي الشبه مُلزم. لأنهم لو فعلوا ذلك – في اعتقادها – لأصبح المستبد في نظرهم جريمة مجسمة في صورة إنسان، يسهل عليهم من ثم نقده ويجرئهم على تجريمه، ولقد قدمت المستبد في أبشع صوره: "سنرى هذا المستبد يتحدى قدرة الله وعدله ويريد منا أن نقدسه كما نقدس الله سبحانه وان نضفي عليه أوصاف الرب جل وعلا"[٦٥]، حتى خلصت في تصويرها له إلى تقرير الحقيقة الثابتة: انه مهما استبد المستبد بالأمة ومهما وأتته الظروف على ظلمها فانه لا يملك القوة الحقيقية لإذلالها على الدوام، اللهم إلا قوة الخوف الكامنة في النفوس هي التي تمنح المستبد سر قوته اللحظية، وتجعل الأمة تخضع له وترضخ لحكمه، فلو غضب الشعب وثار على المستبد لمرة واحدة لتبين للعيان ضعفه وتزلزل عرشه وسقطت تلك الأسطورة: "ما علينا الآن إلا أن نزيل هذا الخوف من نفوسنا وان نستعد للغضبة على شرفنا المهان وحقوقنا المهضومة وان نثور ثورة فكرية في وجه الظلم والطغيان ولنعلم أن الله معنا وان النصر حليف الحق".[٦٦]

وفي ذات السياق صنفت صوت اليمن المجتمع اليمني، على أسس قالت إنها من إفرازات ثقافة الاستبداد، إلى خمس فئات رئيسية هي "المستبدون، المحاسبون، المنافقون، المتمذغون، المجاهدون حقًا" وعرفت كل فئة على حدة:

- المستبدون: هم الذين يرون الشعب ذاهبًا إلى الهلاك ومصيره بأيديهم وأمواله في خزائنهم، تتركز كل السلطة في أيديهم.
- المحاسبون: هم أعضاء الحكومة من إداريين وكبار الموظفين الذين يملكون القرار، وهم الحكام وكبار التجار الذين يدركون الواقع ويحاولون الابتعاد عنه لمصالح ذاتية.
- المنافقون: هم الذين يشاهدون كل السلبيات ولا ينتقدونها، ويزيفون الوعي ويتملقون الحاكم، ويدركون كل الأخطار لكنهم يتجاهلونها ويعكسونها.
- المتمذغون: هم الانتهازيون المتفرجون من بعيد، وهم الانسحابيون – المتواكلون.
- المجاهدون حقًا: هم الذين يتما هون بصدق مع قضايا هم ومبادئهم بكل ما يملكون، ويتفانون بإخلاص في سبيل عقيدتهم[٦٧].

كما أنها رأت إن اليمن في ظل معطيات ثقافة الاستبداد التي خيمت عليها إبان الحقبة المتوكلية، قد تحولت، بفعل تمفصلاتها في شتى مناحي الحياة اليومية للإنسان اليمني، إلى ما وصفته بـ "مدرسة الاستبداد الابتدائية"، التي وجد فيها الاستبداد محضنًا ملائمًا وقابلية للتعايش والتبيئة، نتيجةً لجهل الناس حقوقهم وسكوتهم الطويل عليه[٦٨].

وأخذت تصف الحالة السياسية المتأزمة التي كانت تعيشها اليمن إبان الحكم المتوكلي قائلة: "سياسة الشدة لا تثمر إلا شرًا، متى ينطق هذا الشعب السجين، كتاب اليمن المنهوبة المنكوبة، رسالة من الجحيم من محاكم التفتيش إلى محاكم اليمن،... الخ"[٦٩]، والتي كان من أبرز سماتها الظلم والاستبداد، كما أخذت في الوقت ذاته تستنهض العاطفة الإسلامية، وتناشد المجتمع الإسلامي المناصرة والوقوف إلى جانب ما اعتبرته قضية اليمن الجوهرية، واصفة رجال الطبقة الحاكمة بالوحوش والسباع الشاردة: "...ولو لم تخلق هذه الوحوش لما سجنت أمة عربية مسلمة أربعين عامًا...أيها الناس سبعة ملايين [عدد سكان اليمن تقريبًا آنذاك] منكم رماهم القدر في هذه البقعة من الأرض يقتلون باسم الاستقلال ويموتون باسم الأمن ويحكمون بقانون الغابة وتزهق أرواحهم مخالب السباع. أيها المسلمون.. سبعة ملايين منكم ينهبون باسم الدين وينكبون باسم الإسلام"[٧٠].

وقالت إن من أسباب شقاء اليمن، إلى جانب استيطان ثقافة الاستبداد، ما أسمته بـ "المواجهة"، وهي المواجهة أو المقابلة المباشرة بين الحاكم والرعية، والتي كان الإمام يحيى يتبعها وفقًا للتقليد الإسلامي، ذلك لأنها تجسد بصورة مشوهة المركزية الشديدة، التي تختزل الوطن والشعب في شخص الحاكم وتمركز كل السلطات في يده المطلقة، واعتبرتها ظاهرة سلبية تمثل صورة من صور الدكتاتورية والاستبداد في اليمن، على الرغم من أن الإمام يحيى كان يتبعها تأسيًا بالخلفاء الراشدين بحسب الصحيفة. لكن هذه الظاهرة مع مرور الزمن قد تحولت بالتقادم إلى نوع من المناورة والتأليه، وخلقت رهابًا اجتماعيًا شاعت في ظله ثقافة الذل والخنوع وتسيدت الكهنوتية والمثيولوجيا بفعل ادعاء الإمام أن مصدر شرعيته مستمده من الله[٧١].

لم تحمل صوت اليمن الحاكم وحده وزر انتشار وإشاعة ثقافة الاستبداد بين أوساط المجتمع، بل حملت أيضًا ما أسمته قابلية الجماهير لتلك الثقافة واستساغتها ولو قسرًا. ولهذا نجدها توجه سؤلاً مهمًا إلى الجماهير مفاده: "هل سيرجع عبدة[عبَدتْ] الجرائم والدراهم إلى عبادة الله وحده"، استنكرت فيه تحول الكثير من قيم وأخلاق الناس نحو تعبيد السلطة والقوة من دون الله، والتي بمقتضاها يتحول الحاكم الفرد المطلق الصلاحية، الذي يبني سلطته على العسف والجور وسلب أموال الرعية، إلى "الحاكم بأمره"، والى "مستبد عادل"، يتملقه العوام ويسبح بحمده المنافقين "سلام الله عليه، صلوات الله عليه"، ويزداد في هذه الحالة عبدت المجرمين من الجهلاء، بل إن الجريمة الحقيقة تكمن – في نظرها – في تحول أماكن العبادة إلى مراكز للضخ الأيديولوجي لمصلحة استبداد الحاكم، ووجود من "يدعو للظالمين بالنصر والتمكين والظفر والفتح المبين"[٧٢]. لهذا اعتبرت صوت اليمن إن مجرد الجهر بحركة الأحرار في عدن، يعد في حد ذاته ثورة فكرية فجائية خلخلت –إلى حد كبير– البُنى والقيم التقليدية المتكلسة في العقلية السياسية اليمنية، بفعل ما قالت: أنه الجمود على العبودية ردحًا من الزمن ينوف على الأربعين عاما، تحولت معه الدكتاتورية إلى "إلوهية زائفة"[٧٣]. كما ردت في ذات السياق على إحدى النصائح الموجهة إليها من أحد العلماء بشأن عدم اهتمامها بتاريخ اليمن القديم وتحريها الدقة في نقد السلطة، بالاعتراف بالتقصير في ذلك الجانب، وبررت ذلك بان ثمة أولويات وأجندة مرحلية – كانت على سبيل التكتيك – قد شغلتها عن الالتفات إلى تلك المواضيع، في مقدمتها مقاومة الاستبداد. وهو ما كرسته بالفعل معظم، إن لم تكن كل، موضوعاتها[٧٤].

وفي خضم الجدل والسجال السياسي بين السلطة والمعارضة المتَجليّ في صحافتهما، يمكن التكهن بوجود صراع خفي ذو طابع مذهبي، فاحت رائحته – بطريقة أو بأخرى – في خطاب صوت اليمن، وعكست صفحاتها صداه. ففي الوقت الذي كانت الصحافة الموالية تقدم السلطة الإمامية، على أنها سلطة دينية تمثل امتدادًا فكريًا وتاريخيًا لخلافة الرسول (ﷺ)، ومُجسدة سياسيًا أفضلية (آل البيت) وأحقيتهم في الحكم، كانت صوت اليمن تعبر عن وجهة نظر المعارضة، والتي تستهجن مثل ذلك الطرح وتعتبره نوع من الادعاء وتزييف الوعي، وذلك لتكريس ثقافة الاستبداد ليس غير. لكن في المقابل يمكن القول إن "صوت اليمن" استندت في جدلها على تراث سياسي ينتمي إلى الفكر السني، إن صح هذا التعبير، وإلا ما معنى الحضور الكثيف لنصوص ومصطلحات ذات نفس ينزع إلى الفكر السياسي السني، وتوظيفها في سياقات مضادة لفكر الإمامة.

ولعلّ المقالة المعنونة بـ "من الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى الأبناء الحاكمين في اليمن"، إحدى صور الجدل التي عكست طبيعته وأجلت ملامحه، حيث ذَكْرَت بفضائل وأخلاق الإمام علي البشرية وبَيّنَت ما كان عليه من العدل والإنصاف، وقالت على لسانه إن الظلم والاستبداد لا يُبرَرْ لمجرد الانتماء سلاليًا إليه أو إلى آل البيت، كما نقدت بشدة استبداد الإمامة بدعوى تطبيق الشريعة[٧٥]، وقالت في هذه المقالة: إن الإمام عليّ كرم الله وجهه يرفض الكهنوتية في الدين ويجرم من يسعي إلى تكريسها من الحكام موجهًا خطابه إلى كل من يدعي الانتماء إليه وعلى رأسهم الإمامة في اليمن: "...متى قال لكم الإسلام كونوا أوثانًا تعبد ولتكن الأمة اليمنية مائدة تأكلونها؟ اللهم إني ابرأ مما تعملون"[٧٦]، وتواصل الحديث على لسان الإمام علي معتبرة أن أبشع جريمة تؤسس لها الإمامة هي سياسة التفرقة المذهبية: "أيها الأبناء، إن الجريمة التي لا تغتفر هي سياسة التفرقة التي اتخذتموها بين أبناء الأمة الواحدة، فقد فرقتم الأمة اليمنية إلى فرقتين فرقة سميتموها (شيعية زيدية) وأخرى دعوتموها (ناصبيه شافعيه) فضربتم الأخرى بالأولى"[٧٧]، وتتضح طبيعة الصراع بشكل أعمق وتتجلى ملامحه بصورة أوضح، عندما تورد على لسان الإمام عليّ ما مفاده: "وعمدتم إلى قبائل (حاشد وبكيل) فضربتم حولها نطاقًا من الجهل وحرمتم عليها العلم والثقافة وبذرتم في أدمغتها فكرة وثنية لا علاقة لها بالإسلام وهي فكرة التشيع وقلتم لها انتم المجاهدون والأنصار ونحن آل محمد تمسكوا بنا وقاتلوا في سبيل نصرتنا هؤلاء النواصب فدونكم إياهم لأنهم يبغضون (آل محمد) ولما استتب لكم الأمر عدتم إلى هؤلاء الأنصار الذين حاربوا معكم إخوانهم وأبناء عمومتهم فجرعتموهم الذل ألوانا

والضيم أنواعا خوفًا أن ينتهوا إلى أغلاطهم فيتداركوها"[٧٨]. وهي – بالطبع – تقصد بهذا إجلاء زيف خطاب الإمامة وتحديد رؤيتها، في الوقت ذاته، للسلطة والحكم، والتي تعود – في اعتقادنا – إلى التباين الجوهري بين مرجعيتهما، والذي يكمن في المفهوم العام للإمامة حيث إن الشيعة، بمعظم تعبيراتهم، يعتبرون الإمامة أصل من أصول الدين، بمقتضى الوصية وتأويل النص والأفضلية ... الخ، بينما أهل السنة يعتبرونها شأن بشري، يقتضيه النص الصريح "وأمرهم شورى بينهم"، والصلاحية ... الخ.

فيا ترى هل مثل هكذا خطاب يبرر القول: أن طبيعة الصراع بين الإمامة والأحرار كان ذو خلفيات مذهبية، وان كانت خفية. وهل يسوغ القول – أيضًا – بان صوت اليمن بخطابها هذا كانت تعبير جديد عن النفس السياسي السني، الذي أُجهض سياسيًا عقب رحيل الأتراك من اليمن عام ١٩١٨م، وشغور الجغرافيا من ثم ليسد الفراغ المشروع السياسي الهادوي (الزيدي)؟. بمعنى آخر هل وظفت صوت اليمن الفقه السياسي السني بموازاة فقه السلطة الهادوي في المحاججة والجدل والصراع؟ ربما!.

ومن صور الجدل التي تنطوي على خلفية مذهبية وتبرز طبيعة الصراع، ذلك السجال المتبادل بين "الإيمان" و"صوت اليمن"؛ إذ قالت صحيفة الإيمان في افتتاحية العدد (١٧٨) بعنوان "عين اليقين": "أن أهل اليمن كلهم ناعمون باستظلالهم بالرعاية النبوية العلوية الفاطمية" وردت صوت اليمن بالتعليق عليها بـ "عين اليقين.. العوراء "، واصفة ذلك بالدعوة المظللة والأسطوانة المشروخة التي طالما رددتها إيمان حكومة صنعاء، حسب تعبيرها. ولكنها لم تنكر أفضلية آل البيت وحب اليمنيين لهم، لكنها قيدت ذلك بشرط إلحاق كلمتي "الطيبين الطاهرين" على كلمتا "آل رسول الله" من باب المحاججة أو ربما المناكفة. ومن هذه الزاوية نظرت إلى الأمير إبراهيم، واعتبرته بعد انضمامه إلى صفوف المعارضة، أطهر الآل الطيبين في اليمن، ودعت إلى مناصرته والالتفاف حوله لمناهضة ما أسمته بالظلم والاستبداد، وكأنها هنا تبدي نوع من المناورة، التي تظهر واحدية النظرة مع الإمامة في مفهوم السلطة، حيث الخلاف يكمن في شخوص السلطة وليس في شكلها، وهو ما يمكن أن يناقض دعوتها إلى شوروية الحكم ودستورية المملكة الذي عبرت عنه باستشهادها المكثف بأقوال الصحابة في مسائل الخلافة والحكم، في الوقت الذي تجاهلت – إلى حد ما – أقوال الأئمة. وتصل في نهاية ردها إلى تحدي إيمان حكومة اليمن النبوية العلوية الفاطمية – حسب تعبيرها – أن تنكر وجود ما وصفته بالدكتاتورية الفاشستية في اليمن، وكذلك الفردية المطلقة والدجل باسم الدين والسلب والتعذيب باسم الإسلام، وتحدتها – أيضًا – إنكار وجود الإقطاعية واحتكار السلطة في اليمن، حتى تدعي الإيمان أن النخبة الحاكمة في صنعاء تمثل (آل البيت)[٧٩] أما عندما أنكرت صحيفة "الإيمان" أهلية رجال المعارضة للسلطة والحكم بحجة عدم انتسابهم للبيت الهاشمي (فئة السادة) حيث قالت: "يوجد في عدن رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ليسوا من السادة اليمانيين ولا من العلماء العاملين ولا من طلبة العلم المتورعين ولكنهم شذوا عن طريقة أهل الدين"، ردت عليها صوت اليمن بالاستهجان والرفض، وأتهمتها بالترويج لثقافة التمييز ألسلالي والعنصري وقالت: "أيها الآثمون أتقررون في شريعة جنونكم انه لا حق للإنسان أن يطالب بحقه إلا إذا كان رئيسًا سيدًا، سيفًا، وزيرًا..."[٨٠]

وحينما كانت السلطة الإمامية وآلتها الإعلامية تصور فرار المعارضة إلى مستعمرة عدن على انه ارتماء في أحضان الاستعمار وارتهان إليه، كانت المعارضة تسارع في الرد، وتعتبر ذلك هجرة تماثل هجرة الرسول (ﷺ) من مكة إلى المدينة من اجل الحفاظ على مشروعها من الظلم والاستبداد. فعلى سبيل المثال نشرت "صوت اليمن" حوارية لمحمد محمود الزبيري بعنوان "بين أخوين.. أو بين جيلين"، يجدر بنا التوقف عندها، كونها تعكس رؤية المعارضة للهجرة إلى عدن وموقفها من تلك الاتهامات؛ إذ قال في سياق حواره مخاطبًا الجمهور عن طريق أخته: أنها تعلم ظروف خروجه من ارض الوطن ويؤكد معرفتها بقوة إيمانه، وطالبها بعدم الانسياق وراء الشائعات التي تطلقها السلطة وأزلامها من انه ورجال المعارضة يعيشون مع النصارى وان دينهم قد تضعضع نتيجة الاختلاط، بل انه قال إن إيمانه القوي هو من حتّم عليه الهجرة تأسيًا بالنبي، واقسم لأخته انه لن يعود إلى بلاده إلا وقد تحقق هدفه وهو الثورة على الظلم

والاستبداد، وأبدى استغرابه من جزع أخته عليه لوجوده في بلاد الإفرنج مذكرًا إياها بسكان المدينة المنورة الهجين وهجرة الصحابة إلى الحبشة بلاد النصارى، وخاطب أخته بنوع من التهكم والازدراء ساخرًا من الاستبداد والصابرين عليه قائلاً: "أ فكل هؤلاء [يقصد رجال المعارضة وكل اليمنيين المتواجدين آنذاك في عدن] مذنبون آثمون إلا أنت وجيرانك في هذه القرية الصغيرة ؟ أ فيكون الله وجنته وملكوته لكم وحدكم يا سجناء الكهوف والظلام، ويا ضحايا الجهل والغباوة؟ أفلا أكون عندك مسلمًا صحيح الإسلام إلا إذا خضعت للظلم وأقمت في السجن وظللت احمل الأصفاد في رجلي والأغلال في عنقي وتقبلت العنف والاستعباد والقسوة ورضيت أن أعيش ذليلاً رعديدًا مهانًا مستعبدا"[٨١]، وحاول الزبيري في هذه الحوارية أن يجيب على كثير من الإبهامات المثارة حول المعارضة، لعل من أهمها توضيح رأي الإسلام في معارضة الظلم والاستبداد، فقد وضع مقارنةً بين التدين السلبي والتدين الإيجابي أو ما اسماه "الإسلام الذي يريده الله والذي لا يريده"، قال: إن الأول وراثي، انسحابي لا يضع وزنًا لشؤون المسلمين ومجريات الحياة، منحصرًا في المساجد وأماكن العبادة، والثاني متفاعل مع قضايا الأمة، منفتح على الكون كله ومتلازم قولاً وعملاً في حركة دائبة نحو العطاء والتجدد. وهو ما يرومه هو ورفاقه المعارضين.

ومن أجل ذلك جاد الزبيري ورفاقه بكل ما يملكون في سبيل قضيتهم، وكرسوا كل حياتهم واهتماماتهم لخدمة ذلك الهدف النبيل وهو محاربة الظلم والاستبداد: "إن الظلم في بلادي يجب أن يزول ويجب أن يمحى ويجب ألا أصرف نفسًا من أنفاس حياتي إلا وأنا احمل المعاول لتحطيمه. كل مال لا ينفق في سبيل الله والوطن فهو مال ملوث دنس، وكل كلمة لا تخرج من الحنايا غضبانة على الظلم والطغيان فهي كلمة لئيمة الأصل خبيثة المنبع، وكل قلب لا يمتلئ بالعطف والحنان على الملايين المعذبة فهو قلب وحش آثم"[٨٢]. وعلاوة على ذلك كانت صوت اليمن ترد على اتهامات السلطة للأحرار بالعمالة للاستعمار البريطاني، بأنها، أي السلطة، عميلة هي الأخرى لما أسمتها بالفاشستية المجرمة التي دخلت في تحالف مع الإمام يحي، وان الثقافة "الفاشستية" هي التي تؤثر وتتحكم على السيوف الوزراء ومحرري صحيفة الإيمان الناطقة باسم الحكومة المتوكلية[٨٣].

وهكذا جعلت الصحف الحزبية من محاربة الظلم والاستبداد موضوعها الأول وديدنها الذي أبداها بمثابة النشرات الثورية التي لا تحمل سوى ثقافة التمرد ولغة النضال، وهو ما كانت عليه بالفعل، فقد بررت ذلك بأحجية الظلم الواقع على الأمة وفي مقدمتهم رجال المعارضة، وبحثت له عن مصوغات وأسانيد، وجدت معظمها في القرآن الكريم "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم "، تلك الآية التي قدمتها كنوع من التبرير لما تقوم به من هجوم وتعنيف ضد النخبة الحاكمة، والتي حاججت بها كافة أشكال النقد الديني الموجه إليها[٨٤]، كما استلهمت التراث الثوري لبعض الشعوب "صور من كفاح الشعوب: الثورة الفرنسية" نموذجًا، التي حاولت من خلالها إذكاء الروح الثورية في نفوس اليمنيين[٨٥].

أجمع معظم الكتاب والباحثين على أن صوت اليمن كانت في رسالتها الإعلامية متأثرة – إلى حد كبير – بفكر ونشاط الإخوان المسلمين في مصر، وإنها كانت تقتبس العديد من المقتطفات الإخوانية التي تتواءم مع مشروعها والتي طبعتها – بالضرورة – بطابعها، وأبدتها – ولوحينًا – لكأنها صدى إعلامي للإخوان في اليمن وانعكاس فكري لتوجهاتهم[٨٦]، وقالوا إن التوأمة الفكرية - الإعلامية بين الجانبين كانت في إطار من التعاطف المرحلي المتبادل بين الإخوان والأحرار، بلغت لدى البعض حد القول الصريح: إن هوية الصحيفة الأيديولوجية هي الهوية الإخوانية[٨٧]. ناهيك عن حسبان رئيس تحريرها القاضي محمد محمود الزبيري، الذي تم استقطابه من قبل الإخوان المسلمين في مرحلة دار العلوم في القاهرة، أول من شكل خلية سياسية ذات هوية إخوانية في اليمن، وهو ما انعكس على خطاب الصحيفة في مراحل تالية[٨٨].

وعلى كل أيًا كانت نسبة الموضوعية في هكذا طرح، وسواءً اتفقنا معه أو اختلفنا، فان من نافل القول: إن صوت اليمن يمنية الثقافة والمنبع إسلامية الجذور والتوجه، تأثرت – بطريقة أو بأخرى – بفكر الإخوان المسلمين، في لحظة من التيه والشعور بفقدان الهوية وفي

زمن كانت تبحث فيه عن أفق تأوي إليه وتجد فيه حاجاتها المصادرة والمقموعة، والتي ظنت أنها قد وجدتها في فضاء الإخوان مقارنةً مع الواقع اليمني آنذاك. فقد تجلى على صفحاتها النفس الإخواني المتمثل في النقل الحرفي لمقالات الإخوان التي وجدت فيها نوع من التوائم مع أفكار وتوجهات الأحرار، والتبني الصريح لبعض الأفكار المتوافقة المتعلقة بشؤون السلطة والحكم، والتي جعلها تصرح في أحد أعدادها: "المرشد العام للإخوان المسلمين يحمل لواء القضية اليمانية في العالم العربي"، وتصف الإخوان المسلمين على هذا النحو: "وما الإخوان المسلمين إلا عصابة الله التي أخرجها في كنانة لتحمل للعروبة والإسلام مشاعل الهداية والنور والحرية والعدل والسلام"[٨٩]. بلغت ذروة التجلي في اختيار بعض الافتتاحيات من رسائل المرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ حسن البناء (تـ ١٩٤٩م) والتي تحدث فيها عن دعائم الحكم الإسلامي، ومسؤولية الحاكم، ووحدة الأمة، واحترام رأي الأمة، والموقف من نظم الحكم المعاصرة[٩٠]. كما طالعتنا افتتاحية العدد (٥٥) بثلاثة عناوين بارزة: "الشيخ حسن البناء يقول: ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، مشاكلنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي، نظام الحكم"، وقدمت لها بنوع من التأثر والانجذاب قالت انه شكل من أشكال التوحد الوجداني والتجانس الفكري بين الأحرار والإخوان.

وهي الافتتاحية التي عكست – إلى حد ما – رؤية الإخوان المسلمين، للدولة ووظيفتها وحدود مشروعيتها، التي قدموها للأحرار الذين بدورهم استساغوها ووجدوا فيها الرؤية المثالية التي يمكن لها أن تمكنهم من حل مشاكلهم السياسية المستعصية. ولأهميتها رأينا ضرورة نقلها حرفيًا علّنا نقف عند مقاربة أولية – على المستوى النظري- تجمع الإخوان والأحرار حول مفهوم الدولة وحل إشكالاتها: " يفترض الإسلام الحنيف (الحكومة) قاعدة من قواعد النظام الاجتماعي الذي جاء به للناس فهو لا يقر الفوضى ولا يدع الجماعة المسلمة بغير إمام ولقد قال رسول الله (ﷺ) لبعض أصحابه: "إذا نزلت ببلد وليس فيه سلطان فارحل عنه"، كما قال في حديث آخر لبعض أصحابه كذلك "وإذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم رجلاً".

فمن ظن أن الدين أو بعبارة أدق الإسلام لا يعرض للسياسة وان السياسة ليست من مباحثه فقد ظلم نفسه وظلم علمه بهذا الإسلام ولا أقول ظلم الإسلام فان الإسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجميل قول الإمام الغزالي رضي الله عنه: "اعلم أن الشريعة أصل والملك حارس وما لا أصل له فمهدوم ومالا حارس له فضائع" فلا تقوم الدولة في الإسلام إلا على أساس الدعوة حتى تكون دولة رسالة لا تشكيل إدارة ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها.. كما لا تقوم الدعوة إلا في حماية دولة تحفظها وتنشرها وتقويها وتبلغها.

وأول خطتنا أننا نسينا هذا الأصل ففصلنا الدين عن السياسة عمليًا وان كنا لم نستطع أن نتنكر له نظريًا فنصصنا في دستورنا على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، ولكن هذا النص لم يمنع رجال السياسية وزعماء الهيئات السياسية من أن يفسدوا الذوق الإسلامي في الرؤوس والفطرة الإسلامية في النفوس والجمال الإسلامي في الأوضاع باعتقادهم وإعلانهم وعملهم على أن يباعدوا دائمًا بين توجيه الدين ومقتضيات السياسة وهذا أول الوهن وأصل الفساد وبلاء التقليد الأعمى الذي لا خير فيه.

والحكومة في الإسلام تقوم على قواعد معروفة مقررة هي الهيكل الأساسي لنظام الحكم الإسلامي، فهي تقوم على مسؤولية الحاكم ووحدة الأمة واحترام إرادتها. (نظام الحكم) "وان احكم بينهم بما انزل الله إليك ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله إليك"، ولا عبرة بعد ذلك بالأسماء والأشكال فالحاكم مسئول بين يدي الله وبين يدي الناس وهو أجير لهم وعامل لديهم ورسول الله (ﷺ) يقول: "كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته"[٩١]، وأبي بكر رضي الله عنه يقول حين وليَّ الأمر وصعد المنبر: "أيها الناس كنت احترف لعيالي فأكسب قوتهم فأنا الآن احترف لكم فافرضوا لي من بيت مالكم" وهو بهذا قد فسر نظرية العقد الاجتماعي أفضل واعدل تفسير بل هو قد وضع أساسه فما هو إلا تعاقد بين الأمة والحاكم على رعاية المصالح العامة فان أحسن فله أجره وان أساء فعليه عقابه، والأمة الإسلامية أمة واحدة لان الإخوة التي جمع الإسلام عليها القلوب

أصل من أصول الإيمان لا يتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها ولا يمنع ذلك حرية الرأي وبذل النصح من الصغير والكبير للصغير والكبير كذلك، وهو المعبر عنه في عرف الإسلام ببذل النصيحة وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد قال رسول الله (ﷺ): "الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله؟ قال لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم"[٩٢]، وقال "إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم"[٩٣]، وفي رواية وبطن الأرض خير لهم من ظهرها، وقال سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب: ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله. ولا تتصور الفرقة في الشئون الجوهرية في الأمة الإسلامية لان نظام الحياة الاجتماعية التي يضمها نظام واحد هو "الإسلام" معترف به من أبنائه جميعًا والخلاف في الفروع لا يضر، ولا يوجب بغضًا ولا خصومة ولا حزبية خاصة يدور معها الحكم كما تدور، ولكنه يستلزم البحث والتمحيص والتشاور وبذل النصيحة فما كان من المنصوص عليه فلا اجتهاد فيه وما لا نص فيه فقرار ولي الأمر يجمع الأمة عليه ولا شيء بعد هذا.

ومن حق الأمة الإسلامية أن تراقب الحاكم أدق المراقبة وان تشير عليه بما ترى فيه الخير وعليه يشاورها وان يحترم إرادتها وان يأخذ بالصالح من آرائها وقد أمر الله الحاكمين بذلك فقال: "وشاورهم في الأمر" وأثنى به على المؤمنين خيرًا فقال: "وأمرهم شورى بينهم" ومضت على ذلك سنة رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدين المهديين من بعده، إذا جاءهم أمر جمعوا أهل الرأي من المسلمين فاستشاروهم ونزلوا عند الصواب من آرائهم بل إنهم ليندبونهم إلى ذلك ويحثونهم عليه فيقول أبو بكر رضي الله عنه فإن رأيتموني على حق فأعينوني وان رأيتموني على باطل فسددوني أو قوموني ؛ ويقول عمر بن الخطاب: "من رأى فيَّ اعوجاجا فليقومه".

والنظام الإسلامي بعد هذا لا يعنيه الأشكال ولا الأسماء متى تحققت هذه القواعد الأساسية التي لا يكون الحاكم صالحًا بدونها ومتى طبقت تطبيقًا يحفظ التوازن بينها ولا يجعل بعضها يطغى على بعض ولا يمكن أن يحفظ هذا التوازن بغير الوجدان الحيّ والشعور الحقيقي بقدسية هذه التعاليم وان في المحافظة عليها وصيانتها الفوز في الدنيا والنجاة في الآخرة وهو ما يعبرون عنه في الاصطلاح الحديث بالوعي القومي أو النضج السياسي والتربية الوطنية أو نحو هذه الألفاظ ومردها جميعًا إلى حقيقة واحدة هي اعتقاد صلاحية النظام والشعور بفائدة المحافظة عليه إذ أن النصوص وحدها لا تنهض بأمة كما لا ينفع القانون إذا لم يطبقه قاض عادل نزيه".[٩٤] وعلاوة على ذلك نجد أن الميثاق الوطني المقدس الذي نشرته في أكثر من عدد، ذو صيغة إسلامية تشبه – إلى حد بعيد – أدبيات الإخوان، قيل أن الذي صاغه موفد المرشد العام إلى اليمن "الفضيل الورتلاني" (تـ ١٩٥٩م) وقد استحسنه الأحرار واستساغوا مضامينه بحيث سعوا جاهدين إلى تفعيله وتطبيقه مثّله عمليًا حدث ٤٨[٩٥]

وهكذا ظهر النفس الإخواني جليًا على صدر صفحات صوت اليمن، ليمثل رافدًا فكريًا وثقافيًا هامًا تأثر به معظم محرري الصحيفة والنخبة المثقفة اليمنية حينذاك. خَفَت بعض الشيء في فترة لاحقة بعد انتصار ثورة يوليو٥٢ المصرية، وحلول وسيطرة التيار الناصري.

عرفت صوت اليمن نفسها بأنها صحيفة عربية أسبوعية، وجاء من ضمن أهدافها: أنها تستمد قوتها من روح الإسلام وتتخذ منه طريقتها المثلى، كما وأنها ستهتم بقضايا العرب والمسلمين في كل مكان، لاسيما الجاليات العربية في المهاجر.[٩٦]

الأمر الذي يؤكد على أن ثمة أفقًا عربيًا – يُتجاوز حينًا إلى الإسلامي – قد تجلى على صدر صفحاتها، وأنها قد أولت القضايا العربية والإسلامية أهمية كبيرة تمثلت في احتلالها حيزًا لا باس به من صفحاتها. كانت في مقدمتها القضية الفلسطينية، التي تناولتها من زاوية قومية أملاها داعي الواجب الديني والعاطفة الإسلامية، والتي انتقدت تخاذل الحكومة المتوكلية إزاءها وأفردت لها الصفحات العديدة والمقالات المتخصصة[٩٧]. وكذلك الأمر مع القضية الباكستانية التي باركت استقلالها عن الهند وأبدت حماسًا وتعاطفًا إسلاميًا تجاهها، وصل إلى حد المطالبة من اليمنيين وحثهم على الاستلهام من تجربتها حتى ينالوا حريتهم المهدورة[٩٨].

ومما يدلل على أفقها العربي حرصها الدائم على إشراك الجامعة العربية في الشأن السياسي اليمني، حيث لم تغفل دور وأهمية الجامعة تجاه قضية اليمن، وظلت طوال

مراحل صدورها تشيد بدورها وتعلق عليها الآمال الكثيرة حتى في أحلك الظروف وأصعبها، باعتبار أن الجامعة العربية كانت تمثل واجهة العمق العربي لقضية الأحرار، والتي لا مناص من الاستعانة بها، رغم ما أبدته الجامعة من فتور وتباطؤ حيال قضية الأحرار اليمنيين. ومع ذلك لم يفقد الأحرار وصحيفتهم الأمل فيها. فقد توالت المناشدات والبيانات إلى الجامعة العربية بالتدخل وحل قضية اليمن تكللت بإرسال سيف الحق إبراهيم برسالة إلى أمين عام الجامعة العربية عبد الرحمن عزام نشرتها صوت اليمن في عددها (٣٦) طالب فيها النظر في قضية اليمن والتدخل لحلها، وهي الرسالة التي أوضح الأحرار فيها رؤيتهم للجامعة وتجلى فيها الحس القومي الذي أتسم به – ولو حينًا – خطاب الأحرار، والذي يرفض القطرية والتشرذم، فبعد أن اتهم الأمير إبراهيم الحكومة المتوكلية بالتواطؤ والانحياز إلى جانب الأمريكان والفرنسيين ضد العرب قال: "...وإذا كانت هذه هي نزعة المسؤولين في اليمن وشنشنتهم المعروفة فيجب أن تنبه الجامعة العربية وتعرف أن الشعب اليمني ورجاله الأحرار من مختلف الطبقات يضيقون ذرعًا بهذه السياسة الانفصالية عن البلاد العربية ويقدسون العروبة وجامعتها بل ولا يعترفون بالفروق السياسية بين الشعوب العربية، ذلك لان اليمن بلد عربي بكر يحمل طابعًا عربيًا أصيلاً ولا يكاد يفقه الوطنية الضيقة التي تجزؤ أقطار العروبة "، وتواصل الصحيفة في ذات الرسالة توضيح موقف الأحرار من الجامعة والعروبة قائلة: "وليست حركة الأحرار التي أبدتها وتزعمتها إلا أثرًا من آثار الجامعة العربية التي أيقظت عروبة اليمنيين وألهبت مشاعر الشباب، فذهبوا في صداها يجاهدون ويستبسلون بالرغم من أن الجامعة العربية احتفظت بالموقف الرسمي إزاءهم"[٩٩]. كما قالت الصحيفة – على لسان (محمد عبدالله الفسيل) أحد كتابها – إن الجامعة العربية كان لها أثر إيجابي في بلورة الوعي القومي في اليمن وظهور الحركة الوطنية، في حين كانت الحكومة المتوكلية تعتبرها منتج استعماري لا يجوز دينيًا الانضمام إليها[١٠٠].

ولقد بلغت ذروة تجلّي الحس القومي، لدى صوت اليمن، في مرحلة صدورها الثانية في القاهرة عام ١٩٥٥م حيث أشادت بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م المصرية، والتي اعتبرتها منارة أحرار اليمن التي قالت أن الأحرار سوف يهتدون بأهدافها وان جمال عبد الناصر صار – ربما بفكره – مثل الأحرار ونموذجهم[١٠١]، كما حفلت أعدادها بالعديد من المقالات والأعمدة التي تعج بالخطاب ذو النفس القومي العروبي من مثل عمود "عش لحظة مع أجدادك " الذي كان يحرره (إسماعيل الأكوع)، والذي تناول فيه عبر سلسلة من المقالات موضوع عروبة اليمن وأمجاد العرب الغابرة وحاول مقارنتها وإسقاطها على الواقع اليمني زمن الإمامة[١٠٢]. كذلك إندغامها حينًا مع إذاعة صوت العرب "صوت اليمن في صوت العرب.."، ونشرها لبعض برامجها ذات الطابع والميول القومية، التي تخدم وتتوافق - ولو مرحليًا - مع بعض توجهات الأحرار، والتي أوضحت من خلالها موقف الأحرار من انقلاب١٩٥٥م الذي قاده السيف عبدالله والثلايا، إذ نشرت ما قالت انه من أحاديث الأستاذ محمد محمود الزبيري في صوت العرب ما مفاده، إن مبادئ الأحرار الوطنية لا تتجسد في أشخاص بعينهم، وإنها ليست إلا حقوق الشعب وسيادة الشعب وسعادته وحكمه نفسه بنفسه على النحو الذي يسترد به كرامته ويحتل مكانته بين الأمم، وتصل إلى القول: إن الذي يتمسك به الأحرار هي المبادئ المجردة من الأشخاص سواء كانوا هؤلاء الأشخاص من الملائكة أم من الشياطين، وبعد المقدمة الاستهلالية قالت على لسان الزبيري: "... وفي موقفنا من الانقلاب اليمني الأخير رأينا أمامنا طريقين اثنين الطريق الأول فيما سيف الإسلام عبدالله ومعه تفاهمه المؤكد مع بعض الدول الكبرى على التفريط في حقوق الشعب وعلى الدخول في الحلف العراقي – التركي ومعه نزعته الاستبدادية وعنجهيته ونكرانه لحق الشعب واغتصابه لأمواله واستخفافه بمبادئ الأحرار..." وكذلك خطورة الحلف على مصر راعته المعارضة – حسب الزبيري – "... الطريق الثاني: فيما سيف الإسلام البدر وقد كنا على تفاهم معه على مطالبنا في سبيل الشعب، ورأينا هذا الشاب يسير في طريق السياسة العربية الاستقلالية مع مصر والمملكة العربية السعودية فأطمأنينا إليه من ناحية

السياسة الداخلية والخارجية... ولكن كنا ندرك أن الاتجاه مع البدر على كل حال أدنى إلى الاحتفاظ بسلامة البلاد وحريتها واستقلالها[١٠٣]، وغيرها من المقالات التي لا يتسع المجال لحصرها هنا. بيد أن أهمها والذي يستحق التوقف عنده هو ما نشرته صوت اليمن في احد أعدادها، حيث نشرت صورة الرئيس المصري جمال عبد الناصر وبجانب الصورة قوله المأثور: " اللهم أعطنا القوة لندرك أن الخائنين لا يصنعون الحرية والضعفاء لا يخلقون الكرامة والمترددين لن تقوى أيديهم المرتعشة على التعمير والبناء "[١٠٤]، والذي قدمته كشعار مرحلي، يحاكي – راهنًا – بعض صحف التيار الناصري التي اتخذت من هذه العبارة شعارًا لها (= صحيفة الوحدوي نموذجًا)، وهو ما يجعلنا نتساءل، في هذه الحالة، ما إذا كانت الصحيفة قد تأثرت بالمد القومي الناصري – ولو إلى حين – في مرحلتها الثانية، أو أنها تعاملت مع الأمر الواقع بحيث أنها لم تجد ثمة فرق جوهري بين التيارين القومي والإسلامي حين ذاك؟ أم أنها رفعت الشعار بعفوية، مجاراةً لظروف وأجواء أملتها المرحلة، دون ارتباط عقدي أو أية غايات إيديولوجية.

أن النزعة العربية والإسلامية التي اتسمت بها صوت اليمن انعكست تلقائيًا على موقفها المبدئي والمتصلب تجاه أمريكا الرافض لأية علاقة معها أو مع أي دولة استعمارية ما من شانها الإخلال بسيادة اليمن، حيث هاجمت بشكل لاذع ما أسمته المشاريع الإمبريالية التي قالت إن السيف عبد الله بدأ بشكل فاضح الترويج لها في اليمن عن طريق عقد الاتفاقيات الاقتصادية مع أمريكا. وصل بها الأمر إلى حد اتهامه بالعمالة لأمريكا وقالت أنه، سوف يعرض اليمن للاستعمار[١٠٥]. ولقد قيل في هذا الصدد إن موقف الصحيفة المتصلب، الذي أبدته تجاه أمريكا كان بإيعاز من بريطانيا، وذلك على سبيل النكاية بالسياسة الأمريكية في المنطقة، وانه لم يكن سوى مناورة وحسب، لا موقفًا مبدئيًا ثابتًا، وأيًا كانت الأسباب والدوافع وراء ذلك الموقف، المهم في الأمر هو التأكيد على أن صوت اليمن قد انحازت مخلصة إلى القضايا العربية والإسلامية، ووقفت في كل الظروف والأحوال إلى جانب قضاياها العادلة، انطلاقًا من رؤية عربية وإسلامية، وهو تكريس حي لموقف الأحرار اليمنيين[١٠٦]

وفي نهاية الحديث عن صوت اليمن يمكن القول – على وجه الإجمال – : إن خطابها حفل بمفردات ومصطلحات تشيء بتغلب النزعة اليمنية والعربية والإسلامية، بمعنى آخر تجلى على صدر صفحاتها نفس فكري ذو ملمح يمني – ابتداءً – إخواني محاكاةً – زمن ما – لتنتهي بالنفس القومي غير المؤدلج، وذلك تبعا للظرفية السياسية المتغيرة والمتطورة التي مرت بها الصحيفة، وعايشت ثقافتها، فهي في مرحلتها الأولى، زمن "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" بدت يمنية النزعة والتوجه، أعقبتها تأثرًا بالنفس الإخواني ومن ثم النفس القومي عهد (الاتحاد اليمني) وأجواء خمسينات القاهرة . حتى تم إغلاقها عام ١٩٥٨م. كما يمكن القول – أيضًا – إن رسالتها قد وصلت وحققت بعض من نجاحات مثلاً ذروتهما حدثي ٤٨ و٦٢، المفصليين من تاريخ اليمن الحديث والمعاصر.

رابعًا: الصحافة الأهلية (المنوعة) فتاة الجزيرة أنموذجًا

شهدت اليمن في الفترة الممتدة من عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٦٢م، وفرة في الإصدارات الصحفية الأهلية المتنوعة. تركزت معظمها في مستعمرة عدن بفعل ما شهدته هذه المدينة من طفرة اقتصادية وثقافية نسبية أهلتها لأن تكون الرائدة في هذا المجال. يليها حضرموت وما أصدر فيها من صحف متعددة التوجه والانتماء، وكذلك صحف المهجر الحضرمي العديدة المشارب والآفاق.

وكل هذه الصحف التي صدرت في مختلف المناطق اليمنية (عدن، سيؤون، المكلا، تعز، المهجر... الخ)، قد أرخت ووثقت لتاريخ اليمن المعاصر كل بطريقتها وتبعا لتوجهها، وكانت لها أهداف وتوجهات شتى توزعت بين: الاتجاه الإسلامي والقومي، والوطني والمحلي (الجهوي)...الخ.

ونظرًا لكثرة الصحف الأهلية، وصعوبة الإلمام بها في هذا البحث؛ فإننا سوف نقتصر على استعراض صحيفة فتاة الجزيرة كنموذج، لنتعرف من خلالها كيف وثقت وأرخت؟ بل وكيف صاغت تاريخ اليمن المعاصر؟

صحيفة فتاة الجزيرة (١٩٤٠- ١٩٦٧م)

تُعَدّ صحيفة فتاة الجزيرة أحد أهم مصادر التاريخ اليمني المعاصر ليس لما تحويه أعدادها الكثيرة جدا من

وفرة في المعلومة وغزارة في المادة التاريخية وحسب، وإنما أيضًا لما لها من دور جوهري في توجيه بوصلة المسار التاريخي في اليمن وقتذاك. فهي أول صحيفة يمنية أهلية صدرت بشكل دوري في مستعمرة عدن في ١ يناير عام ١٩٤٠م. وهي بحسب تعريف نفسها "جريدة عربية تصدر يوم الأحد من كل أسبوع. أدب، ثقافة، سياسة". صاحبها ورئيس تحريرها محمد علي لقمان المحامي.

جاء صدورها استجابة إعلامية لحاجات سياسية فرضتها ظروف وأجواء الحرب العالمية الثانية إذ كانت بريطانيا في حاجة إلى وسيلة دعائية تعبر عن أهدافها وتروج لسياستها، خاصة في حال تزايد السخط والتذمر الشعبي ضدها والمنحاز إلى دول المحور.

ففي بداية صدورها بدت من الناحية السياسية منحازة إلى خط الحلفاء حيث سخرت صفحاتها لنشر أخبار الحرب وانتصارات الحلفاء التي كانت تشيد بها من خلال مختلف الفنون الصحفية: من مقال وقصيدة وغيرهما. فضلاً عن أنها كانت تنقل بعض موضوعاتها الأولى نقلاً حرفيًا من الصحف والمجلات الإنجليزية الصادرة في عدن بعد ترجمتها إلى العربية. كما كانت تنشر أخبار القادة الإنجليز في حلهم وترحالهم[١٠٧]. لهذا ربطتها علاقة جيدة بسلطة الاستعمار ممثلة في حكومة عدن البريطانية بحيث بدت من خلال تناغم خطابها مع التوجه الرسمي لسلطة الاستعمار لكأنها رسمية دائرة في فلكه وناطقة باسمه، وإن كانت ثمة تبريرات تتعلق في هذا الجانب أوردها وبررها البعض[١٠٨].

وهناك مَنْ أعتبر أن فتاة الجزيرة اسم يوحي بأنها صحيفة للمرأة في منطقة الجزيرة، أو رمز لمدينة عدن، أو الجمعية العدنية أو ما يدخل في إطار المفهوم التلقائي للاسم وعلاقته بما يعبر عنه"، قياسًا على اسم "بهية" الذي يعبر أو يرمز لمصر، و"الفيحاء" اسم لدمشق "والجوهرة السوداء" لإفريقيا و"فتاة شمسان" للفتاة العدنية... وهلم جراء. وربما هذا ما يوحي إليه اسم "فتاة الجزيرة" التي اتخذت لها شعارًا مرحليًا البيت الشعري التالي:

إني أود من الشباب طموحهم
ويمضني فيك الشباب القنع

وهذا النص – في اعتقادنا – هو تحوير لغوي لشاعر عربي يقول فيه:

شباب قنع لا خير فيهم
وبورك في الشباب الطامحينا

والذي اعتمده البعض شعارًا لها.[١٠٩]

استمر هذا الشعار حتى العام ١٩٤٢م ثم اختفى من صفحاتها، وفي خلالها التزمت "فتاة الجزيرة" نهجًا سياسيًا غلب عليه الطابع العام يجمع بين نشر الأخبار والمقالات الصحفية والقضايا الأدبية والأبحاث العلمية مع اهتمامها بالتغطية الخبرية للحرب العالمية الثانية والنشاط الحربي لبريطانيا، والتي أبدت انحيازًا واضحًا لها ولدول الحلفاء من منطلق الانبهار والتأثر بالفكر الغربي، إلى جانب دورانها في فلك السلطة الاستعمارية البريطانية في مستعمرة عدن[١١٠]. وأكدت انحيازها إلى بريطانيا والى دول المحور في أكثر من عدد. ففي عامها الرابع قالت: "...نستقبل العام الجديد والأمل يشع في أنفسنا فيدفع بنا إلى المقدمة لنصارع الجهل والفقر حتى نصرعهما فنسلك مسالك السعداء من الأمم الفتية. والحرب لما تخمد نارها ولما يخب أوارها ونحن في جانب الأمم المتحدة قد عقدنا مصيرنا بمصيرها وآمنا بنيل أمانينا في عدلها وقد وجدناها تنافح عن حرياتها وحريات الأمم المستضعفة في هذا الكفاح الجبار ونحن لم نرتبط بدول غير بريطانيا العظمى وحلفائها في تاريخنا الحافل بالشدائد وجهادنا الطويل"[١١١].

وعلى الرغم من أن "فتاة الجزيرة" قد حددت رسالتها منذ العدد الأول والذي جاء في افتتاحيته " إن "فتاة الجزيرة" ستربي الصغير وستخدم المريض وستقوم بواجبها الإنساني إن شاء الله خير قيام، وغير خاف ما للصحافة اليوم من شأن في ميداني السياسة والاجتماع في السلم والحرب؛ فإن لها الكلمة النافذة والقول الفصل في كثير من الأوساط والدوائر.

ولما كانت عدن ونواحيها بحاجة ماسة إلى جريدة عربية لسان حالها، عزمت على إصدار هذه الصحيفة خدمة لهذه البلاد وأهلها قاصدًا نشر الثقافة العربية ومجاراة الأمم المتمدنة في تقدمها الثقافي والزراعي والصناعي والتجاري ورقيها العلمي والأدبي جاعلاً هذه

الصحيفة منبرًا لشباب الجزيرة العربية وأدبائها راميًا فيما ارمي إليه إلى تعميم التعليم للبنين والبنات ناشرا ألوية الأخلاق الحميدة. ولهذه الغايات ستقبل الجريدة المقالات العربية الصحيحة المفيدة وستنشر الثمينة منها. ومبدؤها دائمًا الدأب في سبيل خير الجزيرة العربية. بيد أنه يجدر بي أن أنبه العقلاء الأدباء أننا نواجه حربًا شعواء وأحوالاً عصيبة وما كل أيامنا سواء. وستكون سياسة هذه الجريدة موجهة إلى معاضدة الحق والأخذ بناصر العدل والحرية إن شاء الله"[١١٢]. برغم ذلك لم تحدد بعد هويتها، وأن هويتها لم تتبلور بشكل واضح إلا فيما بعد عندما صارت لسان حال الجمعية العدنية – كما سنرى لاحقًا – فحتى عامها السادس استمرت في تأكيد التزامها بتأدية رسالتها والتزامها بما تراه خدمة للثقافة العربية الإسلامية، وإن تجزأت بالنسبة لها الجغرافيا؛ إذ المهم هو وحدة الثقافة والعقيدة الدينية "وحدة الثقافة العربية"[١١٣]. كما جاء في افتتاحية عددها المزدوج (٢٥٣، ٢٥٤) " وفتاة الجزيرة تقف اليوم بعد أن قطعت خمسة أعوام من عمرها وهي لاشك دائبة في تأدية رسالتها للعروبة والإسلام رغم ما لاقت وما تلاقي من شدائد في محيط يضيق به الأديب ذرعًا وتفتقر فيه الجهود الأدبية إلى التقدير والتنظيم ويحتاج فيه الإصلاح الاجتماعي إلى كرم الرجال وتعاون الأمة بصورة واسعة مع الدولة الحاكمة – وهذه رؤيتها في الإصلاح – تعاونًا منبعثًا عن مؤازرة صادقة ترمي إلى وضع أهداف هذا الإصلاح بالنظر إلى حاجتنا في تربية أبنائنا وبناتنا ورفع مستوى معيشتنا وإصلاح بيوتنا ومدينتنا واستثمار مصالح البلاد لخير أهلها، والعمل المتواصل للقضاء على الأمية..."[١١٤].

وعلى هذا الأساس، ومن منطلق التأثر بالفكر الغربي الليبرالي، لعبت "فتاة الجزيرة" دورًا أساسيًا في الدعوة إلى الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مستعمرة عدن، حيث دعت إلى تعميم التعليم وإلزاميته على الرجل والمرأة على حد سوى، وناقشت موضوع الحجاب بأسلوب عصري حداثي، كما طالبت ببناء المستشفيات وإصلاح الطرقات على طريق تمدين عدن وبعض المحميات، وغيرها من المطالب الإصلاحية والخدمية، والتي طالبت بتحقيقها – أيضًا – في شمال اليمن كنوع من التضامن مع مطالب الأحرار ضد الإمامة، والتي على أساسها بُنيَت العلاقة بين الطرفين. فقد أفردت كثيرًا من صفحاتها لقضية الأحرار في منافحة الإمامة، وأفسحت لهم مجالاً للإدلاء بمختلف آرائهم الموجهة ضد الوضع القائم – آنذاك – في شمال اليمن، كما كتب فيها الأحرار العديد من المقالات وحرروا فيها الكثير من المواضيع الموجهة ضد السياسة الإمامية، وعلى رأسهم الزبيري والنعمان، حتى تبدت في بعض مراحلها لكأنها واحدة من صحف المعارضة كان لها قصب السبق في تبني مطالب الأحرار. من نماذج ذلك قول الأحرار فيها: " لقد كانت أول صحيفة تصدر في هذه البلاد رغم ما كانت تعانيه عدن في ذلك الوقت من تأخر، بل كانت أول صحيفة تفتح صدرها للأحرار المكافحين وكانت صفحاتها لا تخلو قط من المطالبة بالحياة الدستورية في اليمن، والحياة النيابية في إمارات الجنوب العربي. لقد شاركت أحرار اليمن نهضتهم الأولى، وخصصت لهم صفحاتها العريضة كما خصصت أخبار المحميات رغم تهديد الرجعيين والإقطاعيين، لقد ظلت هذه الصحيفة تكافح وتناضل هذه المدة الطويلة. وها هي اليوم لازالت تكافح ولازالت تخصص لنا صفحاتها لنحارب ذلك الظلم والاستبداد الجاثم في بلادنا، والصادر عن حكامنا، ذلك الظلم والاستبداد الذي شردنا في أوطاننا وزج ببعضنا إلى السجون، لقد كان لهذه الصحيفة الفضل الأكبر في محاربة الطغاة المستبدين الذين يتاجرون بالوطنية على حساب شعوبهم تلك الوطنية المزيفة التي يتفوهون بها وهم أعداؤها، لم تبع هذه الصحيفة وطنيتها بدراهم معدودة كما تفعل اليوم بعض الصحف، بل حاربت كل ظالم ومستبد "[١١٥]. كما حوت صفحاتها العديد من المقالات والأخبار المتعلقة بالمملكة المتوكلية اليمنية – سلطة ومعارضة – بل إنها خصصت صفحة أسبوعية أسمتها "ركن اليمن" كانت تنشر فيها شكاوى المواطنين من موظفي الإمام وحكامه وقضاته، وهذا – في اعتقادنا – سر تقارب الأحرار وصحافتهم مع توجه "فتاة الجزيرة" حول المطالبة بالحكم الذاتي لعدن كما سيتضح في الأسطر القادمة.

تبنت "فتاة الجزيرة" خطًا سياسيًا يدعو إلى الحكم الذاتي لمستعمرة عدن، بعد أن أصبحت لسان حال "الجمعية العدنية". فمنذ تأسيس الجمعية عام ١٩٥٠م

التزمت الصحيفة بتوجه الجمعية الداعي إلى (العدننة) وتمكين أبناء عدن من الوظائف العليا، إذ سخرت المقالات والأخبار وجميع المواد السياسية والأدبية لتعزيز هذا الاتجاه الذي يقوم في أساسه على شعار "عدن للعدنيين". ومن الأمثلة التي تجلت فيها النزعة الانفصالية المقال الذي كتبه حامد لقمان أحد كتاب الفتاة والذي جاء فيه " وعدن بلد صغير جدًا لا يتسع إلا لعدد محدود من الناس فبابه المفتوح على مصراعيه للداخلين من سائر أجناس الأمم هو الذي سبب لنا هذا الاضطراب في حياتنا وجعلنا لا نعرف ماذا نحن؟ في زمن أصبح الافتخار بالقوميات من الأسس القويمة [القومية]المتينة التي تقوم عليها الشعوب وتتبوأ مقامها العظيم تحت الشمس فإذا أقفل باب عدن وحددت الهجرة إلى هذا البلد الأمين فربما كان في استطاعتنا أن نؤسس قوميتنا ونفاخر (بعدنيتنا) ونصيح بملء فينا أن أصلحوا البلاد يا حكام البلاد لأننا مؤمنون فيما نذهب إليه من القول، مخلصون في أقوالنا وأفعالنا.

إذن (فعدنيتنا) تقوم على أساس أننا وجدنا في عدن وطننا الأصلي ولا ننظر إلى وطن غيره. فنحن كعدنيين لم نتنصل من (عدنيتنا) لا سمح الله وظل كل عدني لا يفكر في مصلحة عدن والشيخ عثمان والمعلا والتواهي لن نستطيع أن نكون أمة لها كيان تقول كلمتها وتعني ما تقول كما يقول المصطلح الأمريكي.

فإذا استطعنا أن نستأثر بعدنيتنا دون غيرها فسيكون الطريق معبدًا أمامنا إذ إن القومية لا تقوم إلا على توحيد الشعب واللغة والدين والتقاليد والروابط والوشائج العامة"[١١٦]. كما طالبت من الأعضاء العدنيين في المجلس التنفيذي لمستعمرة عدن أن يبدؤوا بالمطالبة الفورية بتعدين الدوائر الحكومية ليكون لرؤساء الدوائر عوامل مشتركة مع الشعب العدني الذي يخدمونه – حسب تعبيرها – كونهم أعرف بحاجته[١١٧]. وكانت الصحيفة تتناول الأحداث التي تقع خارج نطاق مستعمرة عدن، كحادث يقع في تعز، أو حضرموت أو صنعاء أو لحج...الخ، وكأنه وقع في بلاد أخرى خارج اليمن على اعتبار أن عدن قطر قائم بذاته لا تربطه باليمن أو بقية (إمارات الجنوب) أية صلة، سوى علاقات الجوار ليس أكثر. وكمثال على ذلك الحديث الذي نشرته مع حسين علي بيومي، وهو واحد من قادة الجمعية العدنية يقول فيه: " زرت لأول مرة القطر الشقيق لحج، وكانت بمناسبة يوم تأبين المغفور له الأمير أحمد فضل وقد رأيت من حفاوة الاستقبال والترحيب بالعدنيين... الخ "[١١٨]، وكذلك افتتاحية العدد (٢٠٣) المعنونة بـــ "أخبار عدنية" التي تناولت فيها بعض الأخبار المتعلقة بعدن، والتي تعكس روح المناطقية وسيطرة النزعة الانفصالية على خطاب "فتاة الجزيرة"[١١٩].

وهذا الخطاب الذي أبدته "فتاة الجزيرة" المنحاز صراحة إلى ثقافة ما يمكن أن نسميه (العدننة) جاء متسقًا مع رؤى وتوجهات الاستعمار البريطاني؛ الأمر الذي انعكس على مفهوم الجريدة للوحدة اليمنية التي غابت عن صفحاتها باستثناء بعض الإشارات السريعة التي تؤكد استحالة تحقيقها. وبالقياس كتب رئيس تحريرها محمد علي لقمان إحدى المقالات التي تقول: " هل يمكن قيام وحدة بين الصومال وإثيوبيا، فالوحدة لا تقوم على أساس الجنس والارتباطات الأخرى. وإلا لارتبطت العراق مع مصر لا مع بريطانيا العظمى من خلال حلف بغداد، وهكذا الحال بالنسبة لباكستان وإيران وتركيا"[١٢٠]، وهو ما ينطبق – من وجهة نظره – على وحدة اليمن الغائب – آنذاك – شرط مقومها المتمثل في وحدة المصالح المشتركة.

وهكذا مثلت صحيفة "فتاة الجزيرة" منبرًا إعلاميًا هامًا فاحت منه رائحة النفس الليبرالي المبكر، والذي من خلاله قرأت الوقائع والأحداث وأثرت – بشكل أو بآخر – في مجرياتهما. كما شكلت إرهاصة من إرهاصاته الفكرية والتي وجدت تجلياته امتدادات لاحقة استوعبتها بعض القنوات والوسائل.

خَاتمَةٌ

خرج هذا البحث بجملة من النتائج يمكن إجمالها في التالي:

- إن الصحافة بكافة أنواعها، وبما تحويه من مادة صحفية، تمثل وعاء يستوعب مادة تاريخية غزيرة أكيد أن المؤرخ سوف يستفيد منها.
- إن الصحافة بمجملها تُعَدّ مصدرًا مهمًا من مصادر توثيق التاريخ، وهو ما كانت عليه الصحافة اليمنية بكل أنواعها.
- ثمة دور كبير للصحافة في صياغة التاريخ يتحدد وفق خلفيتها الفكرية – الأيديولوجية، وهو ما لمسناه في نماذج الصحافة اليمنية (الرسمية، الحزبية، الأهلية).
- للحقيقة الموضوعية – التاريخية عدة أوجه تعبر عنها مختلف القراءات وهو ما كرسته الصحافة اليمنية في تناولاتها المختلفة والمتنوعة للحدث الواحد.
- كانت الصحافة اليمنية في خطابها وفي مادتها الصحفية انعكاس لواقعها الموضوعي بكل تعبيراته وتجلياته.
- تمثل الصحافة اليمنية، بكل أنواعها، أرشيف غني ومتكامل لمادة تاريخية متعددة ومتنوعة صيغت من مختلف الاتجاهات من تاريخ اليمن المعاصر.

الاحالات المرجعية:

(١) للمزيد حول هذا الموضوع يمكن الرجوع الى دراستنا: **الصحافة والسلطة في اليمن المعاصر**.
(٢) **مجلة العربي**: العدد ٥٤٧، يونيو ٢٠٠٤م، ص ٣٢.
(٣) ذيبان، سامي: **الصحافة اليومية والإعلام، الموضوع التقنية والتنفيذ، الإعلام الحديث في النظرية والتطبيق، مدخل نظري وعملي إلى علم الإعلام**، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٧م، ط ٢، ص ١٣.
(٤) ماكلوهان، مارشال: نفس المصدر، ص ٢٢٧، ٢٢٨.
(٥) عصفور، جابر: **المجلات الثقافية مهمة الإصلاح وسؤال المعرفة**، ج ١، سلسلة كتاب العربي، الكتاب ٦٩، يوليو ٢٠٠٧م، وزارة الإعلام، الكويت، ص ٣٠.
(٦) ذيبان، سامي: المصدر السابق، ص ١٥٣.
(٧) طرازي، فيليب: **تاريخ الصحافة العربية**، ج ١، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩١٣م ص ٣٢، ٣٣.
(٨) عبد الحميد، محمد: بحوث الصحافة، عالم الكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢٣، ٢٤.
(٩) أبو زيد، فاروق: **مدخل الى علم الصحافة**، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٤٢.
(١٠) خبارة، عبد الرحمن: **نشوء وتطور الصحافة في عدن، ١٩٣٧-١٩٦٧**، شركة الأمل للطباعة والنشر، (د.م)، (د.ت)، ص١٩.
(11) Donald m. MacKay ،information ،mechanism and meaing them. I .t press aass achusetts ،1972. p. 39-40.
(١٢) ميرل، جول، لونيشتاين، رالف: **الإعلام وسيلة ورسالة**، تعريب ساعد خضر العرابي الحارثي، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٩، ص ٢٣١.
(13) Omerrilltohn. C. The foreign press. (Louisiana state university press) u. s. 1973. p.21.
(14) Rowlands ،d.g.h.: communications and change. (tom son foundation) Cardiff. Great. Britain p.14 ،16.
(١٥) فابر، فرانس: **الصحافة الاشتراكية**، ترجمة نوال حنبلي وآخرون، معهد الإعداد الإعلامي، دمشق، ١٩٧١، ص ٥، ٦.
(١٦) الواسعي، عيد الواسع بن يحيى: **تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن**، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، (د- م)، ١٤٠٢- ١٩٨٢م، ط ٣، ص ١٢٩، ٣١١، ٣١٤، ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٧ .
(١٧) المؤيد، عبد الوهاب: **موسوعة الصحافة اليمنية**، ص ٥٧.
(١٨) المتوكل، **الصحافة اليمنية نشأتها وتطورها**، مطابع الطوبجي التجارية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٣٧.
(١٩) **الإيمان**: العدد١، السنة الأولى، جمادي الأول ١٣٤٥هـ، تشرين الأول ١٩٤٢م، ص ٢.
(٢٠) المتوكل، محمد عبد الملك: المصدر السابق، ص٣٧.
(٢١) الجاوي، عمر: **مجلة الثقافة الجديدة**، عدن، العدد ٢، فبراير ١٩٧٤م، ص ٤٠.
(٢٢) سلام، محمد عبد الجبار: **الإعلام اليمني والقضايا السياسية والاجتماعية النشأة والتطور**، الجزء الثاني، مؤسسة الكلمة، صنعاء، ١٤١٧ه-١٩٩٧م، ط ١، ص١٢.
(٢٣) الزين، عبد الله يحي: **اليمن ووسائله الإعلامية**، ص٦٢، ٦٣.

(٢٤) **الإيمان**: العدد ١، السنة الأولى، جمادي الأولى ١٣٤٥هـ، اكتو بر ١٩٢٦م، ص ٢.

(٢٥) للمزيد يمكن الرجوع الى دراستنا (**الصحافة والسلطة في اليمن المعاصر الاتجاهات الفكرية والسياسية**).

(٢٦) **الإيمان**: العدد ١، السنة الأولى، ص ١، ٢، والعدد١٣، جمادي الأولى ١٣٤٦هـ، تشرين الثاني ١٩٤٣م، ص ١؛ العدد ٢٥، السنة الثالثة، جمادي الأولى ١٣٤٧هـ، تشرين الثاني ١٩٤٤م، ص ١؛ الإيمان: العدد ٨٥، السنة الثامنة، جمادي الأول ١٣٥٢ هـ، ص ١.

(٢٧) **النصر**: العدد ٢، السنة الأولى، ٦ جمادي الأولى ١٣٦٩هـ - ٢٣ فبراير ١٩٥٠م، ص ١- ٤.

(٢٨) للمزيد حول ذلك يمكن الرجوع الى دراستنا: **الصحافة والسلطة في اليمن المعاصر**.

(٢٩) **الإيمان**: العدد ٣، السنة الأولى، رجب، ١٣٤٥هـ - كانون الثاني، ١٩٤٢م ٣، ص ٢، ٣.

(٣٠) **الإيمان**: العدد ٢٧، السنة الثالثة، رجب ١٣٤٧، ص١؛ العدد٣١، السنة الثالثة، ذي القعدة ١٣٤٧هـ، ص ١، ٢؛ العدد٣٦، السنة الثالثة، ربيع آخر ١٣٤٨هـ، تشرين أول ١٩٤٥م، ص١.

(٣١) **الإيمان**: العدد ١٥٤، السنة ١٣، ربيع ثاني ١٣٥٨هـ، ص١؛ العدد ١٥٥، السنة ١٤، جمادي الأول ١٣٥٨هـ، ص١.

(٣٢) **الإيمان**: العدد ٢٤١، ٢٤٢، السنة ٢٤، ٣٠ ربيع أول ١٣٦٩هـ- ٢٠ يناير ١٩٥٠ م، ص ٢.

(٣٣) أمين الجبر: **الصحافة والسلطة في اليمن المعاصر**، الاتجاهات الفكرية والسياسية، ١٩٦٢-١٩١٨م، المركز الديمقراطي العربي، ٢٠١٧م، برلين، ألمانيا، الفصل الثاني.

(٣٤) **الإيمان**: العدد ٥٧، السنة الخامسة، محرم ١٣٥٠هـ، ص ١، ٢.

(٣٥) **الإيمان**: العدد ٦٥، السنة السادسة، رمضان ١٣٥٠هـ، ص ١.

(٣٦) **الإيمان**: العدد ١٩، السنة الثانية، ذي القعدة ١٣٤٦هـ- مارس ١٩٤٤م، ص١؛ العدد ٢٠، السنة الثانية، ٢٠ ذي الحجة ١٣٤٦هـ وص١.

(٣٧) **الإيمان**: العدد ٢٢، صفر ١٣٤٧ هـ- أغسطس ١٩٤٤ م، ص ١.

(٣٨) **الإيمان**: العدد ١٧٩، السنة ٢٢، ٣٠جمادي الأول ١٣٦٦هـ - ٢٢ابريل ١٩٤٧م، ص١؛ العدد ١٧٨، السنة ٢٢، ١٥ جمادي الأول ١٣٦٦هـ - ٧ أبريل ١٩٤٧ م، ص ١.

(٣٩) **الإيمان**: العدد ١٩٣، السنة ٢٢، ٢٠ ذي الحجة ١٣٦٦هـ - ١٣ نوفمبر ١٩٤٧ م، ص ٢؛ العدد ٢١٢، السنة ٢٣، ٣٠ ذي الحجة ١٣٦٧ هـ - ٣ نوفمبر ١٩٤٨ م، ص ٢؛ العددان ٢٣٥، ٢٣٦، السنة ٢٤، ٣٠ ذي الحجة١٣٦٨هـ - ٢٣ أكتوبر ١٩٤٩ م، ص ١.

(٤٠) **الإيمان**: العدد ٣٣٦، السنة ٢٩، ٢٩ جمادي الأول ١٣٧٤هـ، ٢٣ يناير ١٩٥٤م، ص ١، ٢، ٣، ٦.

(٤١) للمزيد عن صحف المعارضة اليمنية وكيف صاغت التاريخ يمكن الرجوع الى دراستنا، **الصحافة والسلطة في اليمن المعاصر**، الفصل الثالث.

(٤٢) **صوت اليمن**: العدد ١، ١٩٤٦م، ص١؛ العدد ١، ١٩٤٦م، ص١.

(٤٣) **صوت اليمن**: العدد ١، ١٩٤٦م، ص١؛ العدد ٣، السنة الأولى، ٢٧ ذي الحجة ١٣٦٥هـ، ٢١ نوفمبر ١٩٤٦م، ص ١.

(٤٤) للمزيد حول هذا الموضوع انظر **صوت اليمن**: الأعداد ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٣، السنة الأولى، ١٩٤٧م، ص ٢، ٢، ٢، ٣.

(٤٥) أمين الجبر: **الصحافة والسلطة في اليمن المعاصر**، الاتجاهات الفكرية والسياسية، ص

(٤٦) **صوت اليمن**: العدد ١١، السنة الأولى، ٢٣صفر ١٣٦٦هـ - ١٦ يناير ١٩٤٧م، ص ١.

(٤٧) **صوت اليمن**: العدد ١، ١٩٤٦م، ص٤.

(٤٨) **صوت اليمن**: العدد ٢، السنة الأولى، ٢٠ ذي الحجة ١٣٦٥هـ - ١٧ نوفمبر ١٩٤٦م، ص ١.

(٤٩) **صوت اليمن**: العدد ٢، السنة الأولى، نوفمبر ١٩٤٦م، ص ١، ٤.

(٥٠) **صوت اليمن**: العدد ٥، السنة الأولى، ١٢ محرم ١٣٦٦هـ - ٥ ديسمبر ١٩٤٦م، ص ٣.

(٥١) تشير معظم المصادر إلى أن الخلاف الجوهري بين الفكر السياسي السني والشيعي هو حول مفهوم الطرفين للإمامة حيث الشيعة بمعظم تعبيراتهم، يعتبرونها أصل من أصول الدين، بمقتضيات: النص المؤول، الوصية، الأفضلية.. إلخ. بينما السنة بكل أطيافهم يعتبرونها شأنٌ بشري يحددها مقتضيات: النص الصريح (وأمرهم شورى بينهم)، الصلاحية.

(٥٢) أمين الجبر: **الصحافة والسلطة في اليمن المعاصر**.

(٥٣) **صوت اليمن**: العدد ٤٠، السنة الأولى، ٢٠ رمضان ١٣٦٦هـ - ٧ أغسطس ١٩٤٧م، ص١.

(٥٤) **صوت اليمن**: العدد ٢٦، السنة الأولى، ١٩٤٧م، ص ٤.

(٥٥) أصول الزيدية الخمسة: ١ – العدل. ٢ – التوحيد. ٣ – الوعد والوعيد. ٤ – القول بالمنزلة بين المنزلتين. ٥ – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٥٦) **صوت اليمن**: العدد ٢٨، السنة الأولى، ٢٤ جمادي الثانية ١٣٦٦هـ - ١٥ مايو ١٩٤٧م، ص٢.

(٥٧) **صوت اليمن**: العدد ٣٥، السنة الأولى، ١٤ شعبان ١٣٦٦هـ - ٣ يوليو ١٩٤٧م، ص١.

(٥٨) **صوت اليمن**: العدد ٣٥، السنة الأولى، ٣ يوليو ١٩٤٧م، ص٢.

(٥٩) **صوت اليمن**: العدد١٤، السنة الأولى، ١٥ ربيع الأول ١٣٦٦هـ - ٦ فبراير ١٩٤٧م، ص ١، ٣.

(٦٠) **صوت اليمن**: العدد ١٤، ١٩٤٧م، ص ١،٣.

(٦١) **صوت اليمن**: العدد ١٤، ١٩٤٧م، ص ١، ٣.

(٦٢) **صوت اليمن**: العدد ١٢، السنة الأولى، ١٩٤٧م، ص٤.

(٦٣) **صوت اليمن**: العدد ٢١، السنة الأولى، ١٩٤٧م، ص٢؛ العدد ٢٣، السنة الأولى، ١٠ أبريل ١٩٤٧م، ص ٤ ؛ العدد ٢٤، السنة الأولى، ٢٥ جمادي الأولى ١٣٦٦هـ - ١٧ أبريل ١٩٤٧م، ص ٣ ؛ العدد ٢٦، السنة الأولى، ١٩٤٧م، ص ٤ .

(٦٤) **صوت اليمن**: العدد ١٥، السنة الأولى، ١٣ فبراير ١٩٤٧م، ص٤.

(٦٥) **صوت اليمن**: العدد ١٥، ١٣ فبراير ١٩٤٧م، ص ٤.

(٦٦) **صوت اليمن**: العدد ١٥، ١٣ فبراير ١٩٤٧م، ص ٤.

(٦٧) **صوت اليمن**: العدد ١٨، السنة الأولى، ١٣ ربيع الثاني ١٣٦٦هـ - ٦ مارس ١٩٤٧م، ص ١.

(٦٨) **صوت اليمن**: العدد ١٦، السنة الأولى، ١٩٤٧م، ص ٤.

(٦٩) **صوت اليمن**: العدد ١٩، السنة الأولى، ١٩٤٧م، ص ٢.

(٧٠) **صوت اليمن**: العدد ٤٢، السنة الأولى، ١١شوال ١٣٦٦هـ - ٢٨اغسطس ١٩٤٧م، ص ٢.

(٧١) **صوت اليمن**: العدد٣٣، السنة الأولى، ٣٠رجب ١٣٦٦هـ - ٢٠يونيو ١٩٤٧م، ص١.

(٧٢) **صوت اليمن**: العدد ٣٨، السنة الأولى، ٦ رمضان ١٣٦٦هـ - ٢٤ يوليو ١٩٤٧م، ص١.

(٧٣) **صوت اليمن**: العدد ٢٦، السنة الأولى، ١٩٤٧م، ص٥.

(٧٤) **صوت اليمن**: العدد ٤٣، السنة الأولى، ٤ سبتمبر ١٩٤٧م، ص١.

(٧٥) **صوت اليمن**: العدد ١٤، السنة الأولى، ١٩٤٧م، ص٣.
(٧٦) **صوت اليمن**: العدد ١٤، السنة الأولى، ١٩٤٧م، ص ٣.
(٧٧) **صوت اليمن**: العدد ١٤، السنة الأولى، ١٩٤٧م، ص٣.
(٧٨) **صوت اليمن**: العدد ١٤، السنة الأولى، ١٩٤٧م، ص٣.
(٧٩) **صوت اليمن**: العدد ٢٧، السنة الأولى، ١٧ جمادي الثانية ١٣٦٦هـ - ٨ مايو ١٩٤٧م، ص ١.
(٨٠) **صوت اليمن**: العدد ٣١، السنة الأولى، ١٦ رجب ١٣٦٦هـ - ٥ يونية ١٩٤٧م، ص ١، ٢.
(٨١) **صوت اليمن**: العدد ٤٤، السنة الأولى، ٢٥ شوال ١٣٦٦هـ - ١١ سبتمبر ١٩٤٧م، ص٢.
(٨٢) **صوت اليمن**: العدد ٤٤، السنة الأولى، ص٢.
(٨٣) **صوت اليمن**: العدد ٣١، السنة الأولى، ٥ يونية ١٩٤٧م، ص ١، ٢؛ العدد ٢٥، السنة الأولى، ٢ جمادي الثانية، ١٣٦٦هـ - ٢٥ أبريل ١٩٤٧م، ص١.
(٨٤) **صوت اليمن**: العدد ٤٤، السنة الأولى، ١١ سبتمبر ١٩٤٧م، ص ١.
(٨٥) **صوت اليمن**: العدد ٢، القاهر، ٤ محرم ١٣٧٥هـ - ٢٢ أغسطس ١٩٥٥م؛ العدد ٣، ١٣ المحرم ١٣٧٥هـ - ٢ سبتمبر ١٩٥٥م، ص٣؛ العدد ٤، ٢٢ محرم ١٣٧٥هـ - ٩ سبتمبر ١٩٥٥م، ص٢.
(٨٦) الجاوي، عمر: **الحكمة (الجديدة)**، العدد ٢٦ يناير ١٩٧٤م، ص٧٩، ٨٠؛ الزين، عبد الله: **اليمن ووسائله الإعلامية**، ص ٩٣، ٩٥؛ مقبل، سيف على: **تاريخ الصحافة اليمنية (مطلع القرن العشرين ١٩٦٧م)**، ص ٤٦؛ طاهر، علوي عبد الله: **الصحافة اليمنية قبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م**، ص٢٨؛ سلام، محمد عبد الجبار: **الإعلام اليمني والقضايا السياسية والاجتماعية**، ص ٤٣.
(٨٧) الجاوي، عمر: **مجلة الحكمة**، ص٨٠.
(٨٨) شحرة، حميد أحمد: **مصرع الابتسامة سقوط مشروع الدولة الإسلامية في اليمن (١٩٣٨ – ١٩٤٨م)**، صنعاء، إصدارات المركز اليمني للدراسات الإستراتيجية، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٧٧، ٧٨؛ المسعودي، عبد العزيز: محمد الزبيري ومشروع حزب الله (١٩٤١ – ١٩٦٥)، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٤٨.
(٨٩) **صوت اليمن**: العدد ٥١، العام الثاني، ٢٣ ذي الحجة ١٣٦٦هـ - ٦ نوفمبر ١٩٤٧م، ص١.
(٩٠) **صوت اليمن**: العدد ٥٥، العام الثاني، ٢١ محرم ١٣٦٧هـ - ٤ ديسمبر ١٩٤٧م، ص١.
(٩١) رواه البخاري.
(٩٢) رواه أبو هريرة.
(٩٣) رواه أحمد والبزار.
(٩٤) **صوت اليمن**: العدد ٥٥، العام الثاني، ٤ ديسمبر ١٩٤٧م، ص ١.
(٩٥) **صوت اليمن**: العدد ٦٦، العام الثاني، ٩ ربيع الثاني ١٣٦٧هـ - ١٩ فبراير ١٩٤٨م، ص٤؛ العدد ٦٧، العام الثاني ١٦ ربيع الثاني ١٣٦٧هـ - ٢٦ فبراير ١٩٤٨م، ص ٢؛ العدد ٦٩، العام الثاني، ٣٠ ربيع الثاني ١٣٦٧هـ - ١١ مارس ١٩٤٨م، ص٢.
(٩٦) **صوت اليمن**: العدد ١، السنة الأولى، ١٩٤٦م، ص٣.
(٩٧) **صوت اليمن**: العدد ٤٩، السنة الأولى، ٢٠ ذي الحجة ١٣٦٦هـ - ١٦ أكتوبر ١٩٤٧م، ص ١؛ العدد ٥٦، السنة الثانية، ٢٨ محرم ١٣٦٧هـ - ١١ ديسمبر ١٩٤٧م، ص١؛ العدد ٥٧، العام الثاني، ٥ صفر ١٣٦٧هـ - ١٨ ديسمبر ١٩٤٧م، ص١.
(٩٨) **صوت اليمن**: العدد ٤١، السنة الأولى، ٢٧ رمضان ١٣٦٦هـ - ١٤ أغسطس ١٩٤٧م، ص ١.
(٩٩) **صوت اليمن**: العدد ٣٦، السنة الأولى، ٢١ شعبان ١٣٦٦هـ - ١٠ يوليو ١٩٤٧م، ص ١.
(١٠٠) **صوت اليمن**: العدد ٢٦، السنة الأولى، ١٩٤٧م، ص ٧، ٨.
(١٠١) **صوت اليمن**: العدد ١، العام الثاني، ١٥ أغسطس ١٩٥٥م، ص ١؛ العدد ٢، العام الثاني، ٢٢ أغسطس ١٩٥٥م، ص ١.
(١٠٢) **صوت اليمن**: العدد ١، العام الثاني، ١٥ أغسطس ١٩٥٥م، ص ٢؛ العدد ٤، ٩ سبتمبر١٩٥٥م، ص ٣؛ العدد ٩، ١٧ أكتوبر ١٩٥٥م، ص٨.
(١٠٣) **صوت اليمن**: العدد ١، ١٥ أغسطس ١٩٥٥م، ص ٩؛ العدد ٢، ٢٢ أغسطس ١٩٥٥م، ص٤.
(١٠٤) **صوت اليمن**: العدد ٦، القاهرة، ٩ صفر ١٣٧٥هـ - ٢٦ سبتمبر ١٩٥٥م، ص١.
(١٠٥) **صوت اليمن**: العدد ٣٤، السنة الأولى، ٦ شعبان ١٣٦٦هـ - ٢٥ يونيو ١٩٤٧م، ص ١، ٢ ؛ العدد٣٧، السنة الأولى، ٢٨ شعبان ١٣٦٦هـ - ١٧ يوليو ١٩٤٧م، ص ١ ؛ العدد ٣٨، السنة الأولى، ٦ رمضان ١٣٦٦هـ - ٢٤ يوليو ١٩٤٧م، ص١؛ العدد ٤٥، السنة الأولى، ٥ ذو القعدة ١٣٦٦هـ - ١٨ سبتمبر ١٩٤٧م، ص١.
(١٠٦) الذيفاني، عبد الله أحمد: **الاتجاه القومي في حركة الأحرار اليمنيين ١٩١٨ – ١٩٤٨م**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ١٨٥، ١٧٨، ١٨٨.
(١٠٧) الجاوي، عمر: **مجلة الحكمة (الجديدة)** العدد ٢٦ يناير ١٩٧٤، ص ٧٠، ٧١ ؛ سلام، محمد عبد الجبار، محمد، سعيد مقبل محمد: **الصحافة اليمنية في المناطق الجنوبية، ١٩٤٠ – ١٩٦٧م**، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ١٩٩٧م، ط٢، ص ١٤ ؛ طاهر، علوي عبدالله : المصدر السابق، ص ٦٦ ؛ خبارة، عبد الرحمن: المصدر السابق، ص ٣٩، ٤٠، ٤١.
(١٠٨) الجاوي، عمر: المصدر السابق٢٦، ص ٧٠، ٧١.
(١٠٩) الجاوي: المصدر السابق٢٦، ص ٧٠؛ خبارة: المصدر السابق، ص ٣٦ ؛ طاهر: المصدر السابق، ص ٦٦.
(١١٠) **فتاة الجزيرة**: العدد٩١، السنة الثانية، ١٤ رمضان ١٣٦٠- ٥ أكتوبر ١٩٤١، ص ١ ؛ العدد٩٤، السنة الثانية، ١٣ شوال ١٣٦٠- ٢٠ نوفمبر ١٩٤١، ص ١ ؛ العدد٢٠٢، السنة الخامسة، ١ يناير ٥ محرم ١٣٦٣ – ١٩٤٤، ص ١.
(١١١) **فتاة الجزيرة**: العدد١٥٢، السنة الرابعة، ٢٦ ذي الحجة ١٣٦١- ٣ يناير ١٩٤٣، ص ١.
(١١٢) **فتاة الجزيرة**: العدد ١، السنة الأولى، ص ١. نقلاً عن سيف علي مقبل: المصدر السابق، ص٣٩.
(١١٣) **فتاة الجزيرة**: العدد٩٩، السنة الثانية، ١٨ ذو القعدة ١٣٦٠- ٧ ديسمبر ١٩٤١، ص ١.
(١١٤) **فتاة الجزيرة**: العدد ٢٥٣، ٢٥٤، السنة السادسة، ٣٠ محرم ١٣٦٤ – ١٤ يناير ١٩٤٥، ص١، ١٦.
(١١٥) سلام، محمد عبد الجبار ومحمد سعيد مقبل: المصدر السابق، ص ٢٤.
(١١٦) **فتاة الجزيرة**: العدد ٣٦٠، ١٩٤٧، ص ٣. نقلاً عن سيف علي مقبل: المصدر السابق، ص٤٠، ٤١.
(١١٧) **فتاة الجزيرة**: العدد ١٣٥٠، ١٥ الحجة ١٣٧٩- ٩ يونية ١٩٦٠، ص ١.
(١١٨) **فتاة الجزيرة**: العدد ١٩٠، ٢٦ رمضان ١٣٦٢- ٢٦ سبتمبر ١٩٤٣، ص ٣.
(١١٩) **فتاة الجزيرة**: العدد ٢٠٣، ٩ يناير ١٩٤٤- ١٢ محرم ١٣٦٣، ص ١.
(١٢٠) سلام، محمد عبد الجبار، ومحمد سعيد مقبل محمد: المصدر السابق، ص ١٩، ٢٠.